حدث بالفعل 8



الرحيل إلى الزمن المفقود

تحرير
أ / جلال عبد الفتاح

إشراف
أ / حمدى مصطفى

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

مقدمة المحرر

أهم ما فى الحياة ما زال مجهولاً لنا ، كما أن الغموض الشديد لايزال يحيط بالمصدر الرئيسى للسعادة أو الشقاء. ولكن هناك حقيقة واضحة على الأقل ، فوق كل ما يسعى المرء إليه . وهى حقيقة النفس المطمئنة ، الراضية بقضاء الله وقدره ، حيث السعادة إلى درجات أعلى ، وراحة البال التى لا تنضب .

والسعادة ليست مكاناً نعشش فيه ، ولكنها اتجاه فى حياتنا . كما أنها ليست هبة نولد بها ، ولكنها انتصار مؤكد بعد معاناة طويلة ، وواجبنا ألا نهرب من الحياة ، وأن نعيشها بشرف ، وأن نصل إلى أهدافنا فى النهاية بالإصرار والمثابرة .

هذا الانتصار النهائى ، يتوج كفاح المرء الجاد ، الذى يدرك قيم الأشياء ، ويحترم ذاته . وكلما ازدادت شخصيته نمواً وثراءً ، كلما اكتمل نضجها ، واتسع مجال الحياة أمامه .

فالإنسان لم يخلق عبثًا ، لقد خُلق لغاية ، ولو اتبع المرء الصدق مع نفسه ومع الناس ومع خالقه بإخلاص ، فقد يكتشف حقيقة هذه الغاية . إن أقيَم ما على الأرض هو الإنسان نفسه . هو أقيَم من كل ما حوله . إن شيئا لايمكن أن يؤخذ منه عنوة ، كبرياؤه أو كرامته أو إنسانيته أو عواطفه .

ليس هنـاك شىء يمكن أن يؤخـذ منا ، ويحزننا حقيقـة إلا أنفسنا . وأى شىء آخر ـ مادى ـ لاقيمة له ، ولن يحزننا إذا فقدناه . قد نغضب ، وقد ننفعل ، ولكن لن نشعر بالتعاسة إلا إذا فقدنا اتجاهنا .

سوف نطالع فى أحداث هذا الكتاب ،صورًا كريمة من الصبر والعطاء ، أو حُسن الإدراك والتسامح ، أو الفهم وإنكار الذات . وهى كلها صدى لتقدير قِيَم الأشياء ، والقدرة على الوفـاء ، والمحافظة على العهود ، مما يعطر حياتنا ، ويجعلها أكثر بهجة .

والوفاء الحقيقى أروع ما يكون وقت المحنة . إذ يكون خالصًا من الشوائب ، صافيًا كنبع من السماء . وهو وقـت النعمة قد يختلط بالظنون ! فالوفاء أصالة ، ودليل العراقـة ، وهو فرع من دوحة طيبـة مـن الخلق الحسن ، تجمعها كلمة رقيقة الوقع فى الأذن ، جميلة الأثر فى الحياة .

لقد خلق الله الإنسان فأحسن صورته (غافر ـ 64) . كما أن فى الإنسان روح من روح الله (السجدة ـ 9) . وهو خليفة الله فى الأرض (البقرة ـ 30) ، خلقه الله فى أحسن تقويم (التين ـ 4) . وهى كلها معان ترفع الإنسان إلـى ما فوق السماوات ، وما يعلو على كل المخلوقات .

فلماذا إذن لا نرتفع إلى هذه المرتبة السامية ، والمستوى الرفيع ، الذى أراده الخالق الكريم للإنسان ؟!

جلال عبد الفتاح

مصر الجديدة

حافظت على عهدها القديم

[بقلم : آنيت روسيل]

حدثت بعض الأعطال الكهربائية فى فيلتنا بإحدى ضواحـى مدينة ريتشموند Richmond بولاية فرجينيا Virginia الأمريكية ، مما دعا زوجى فرانك Frank إلى استدعاء فنى كهربـائى متخصص .

جاء فى ميعاده بالضبط ، كان أشبه بشبح متجسد مـن العصور الوسطى ، فى نحو الثلاثين مـن عمره ، رشيق الحركة ومهيب الهيئة . أخذ يعمل فى صمت ، وبمهارة عالية وسرعـة تدل على خبرته . وعنـدما انتهى بعـد حوالى السـاعة ، نظف المكان وجمـع أدواته واتجه نحو الباب الخارجى .

عند الباب توقف بجانب البيانو Piano ، وأخذ ينظر إلى مجموعة من المجلات الموسيقية فوقه . فقال له زوجى بمودة محببة : « هل تعزف الموسيقى ؟ » . ورد الرجل بلكنة أجنبية تشوب إنجليزيته : « كان ذلك منـذ سنوات ! » وفتـح البيان ، وأخذت أصابع يده اليمنى تمر بحنـان فوق المفاتيح

البيضاء والسوداء . وفجأة خرج من البيان قطعة قصيرة من الأنغام المليئة بالشجن والرومانسية ، ولكنه قطعها وأغلق البيان ، وهم بالخروج . فبادره زوجى : « خذ هذه المجلات . لقد قرأناها » . فأخذها الرجل شاكرًا . وسأله زوجى : « من أى دولة هاجرت ؟ » فقال الرجل : « من الدينمارك Denmark . وكان لوالدى جوهانز جاكوبسون Johannes Jacobson ، مصنع صغير للأدوات الكهربائية فى مدينة هيرنينج Herning ، حيث تعلمت فيه المهنة » .

فصحت مندهشة : « الدينمارك ! يا للصدفة . لقد قررنا القيام برحلة إلى هناك خلال الصيف القادم » . شحب وجه الشاب ، ونظر إلى الأرض كمن يبحث عن مهرب ، وقال ببطء : « لقد تقطعت صلتى بموطنى الأصلى ، ولم يعد هناك من يهمه أمرى ! » ، ثم اتجه نحو الباب ، فلما بلغه التفت وقال بما يشبه الرجاء : « إذا حدث وقمتم بزيارة مدينة هيرنينج ، فأستحلفكما بالله أن لاتخبرا أحدًا بأنكما تعرفانى ! »

حينما وصلنا إلى الدينمارك فى شهر يونيو ، ضمن فوج سياحى أمريكى ، كان يصحبنا دائمًا دليل سياحى فى كل مدينة نطوف بها ومن أهلها . فلما وصلنا إلى مدينة هيرننج

فى شمال غرب الدينمارك ، كان دليلنا أحد المدرسين الذى وجد فى إرشادنا فرصة لتمرين لغته الإنجليزية باللكنة الأمريكية . وفى أحد الشوارع الرئيسية شاهدنا لافتة واضحة « جوهانز جاكوبسون ـ أدوات كهربائية » . وخطر لى ولزوجى ـ فى وقت واحد ـ ذكر الشاب الفنى ، فسأله زوجى سؤالاً عابرًا عن هذا المصنع .

وأفاض الدليل فى ثرثرة متواصلة بكل ما يعرف : « .. نعم ! ولكن المصنع يمتلكه آخرون ، وتغيرت إدارته الآن ، بعد أن مات جوهانز ثم من بعده زوجته أيضًا . وكان ابنهما سفيند Svend قد رحل إلى الولايات المتحدة ، وظل الأبوان يأملان فى عودته لإدارة المصنع من بعدهما ، ولكنه لم يعد » .

وسأله زوجى مستفسرًا : « .. وماذا يعمل ابنهما فى الولايات المتحدة ؟ » فأشار دليلنا المدرس إلى أن سفيند كان له صوت جميل ، يصلح لأداء المسرحيات الغنائية والمقطوعات الأوبرالية ، وكان يأمل فى تحقيق نجاح كبير فى هذا المجال . فلما انتهى من دراسة الكهرباء والتدريب فى مصنع والده ، توجه إلى كوبنهاجن وباريس لدراسة الموسيقى لسنوات . ثم رحل إلى الولايات المتحدة وهو

على ثقة أنه سوف يجد مكانًا لـه فى مسرح برودواى Broadway الشهير فى نيويورك ، أو فى إحدى دور الأوبـرا فى الولايات الأخرى .

سأله زوجى « .. وهل حدث ذلك ؟ » . فقال المدرس : « لم يحدث للأسف ، فبعد مرور حوالى سنة انقطعت أخباره ، ولم نعد نعرف عنه شيئًا . ويبدو أنه ترك نيويورك إلى مكان آخر وغير عنوانه ، إذ إن خطابات والديه كانت تُرد إليهما ، لعدم وجود اسمه فى هذا العنوان »

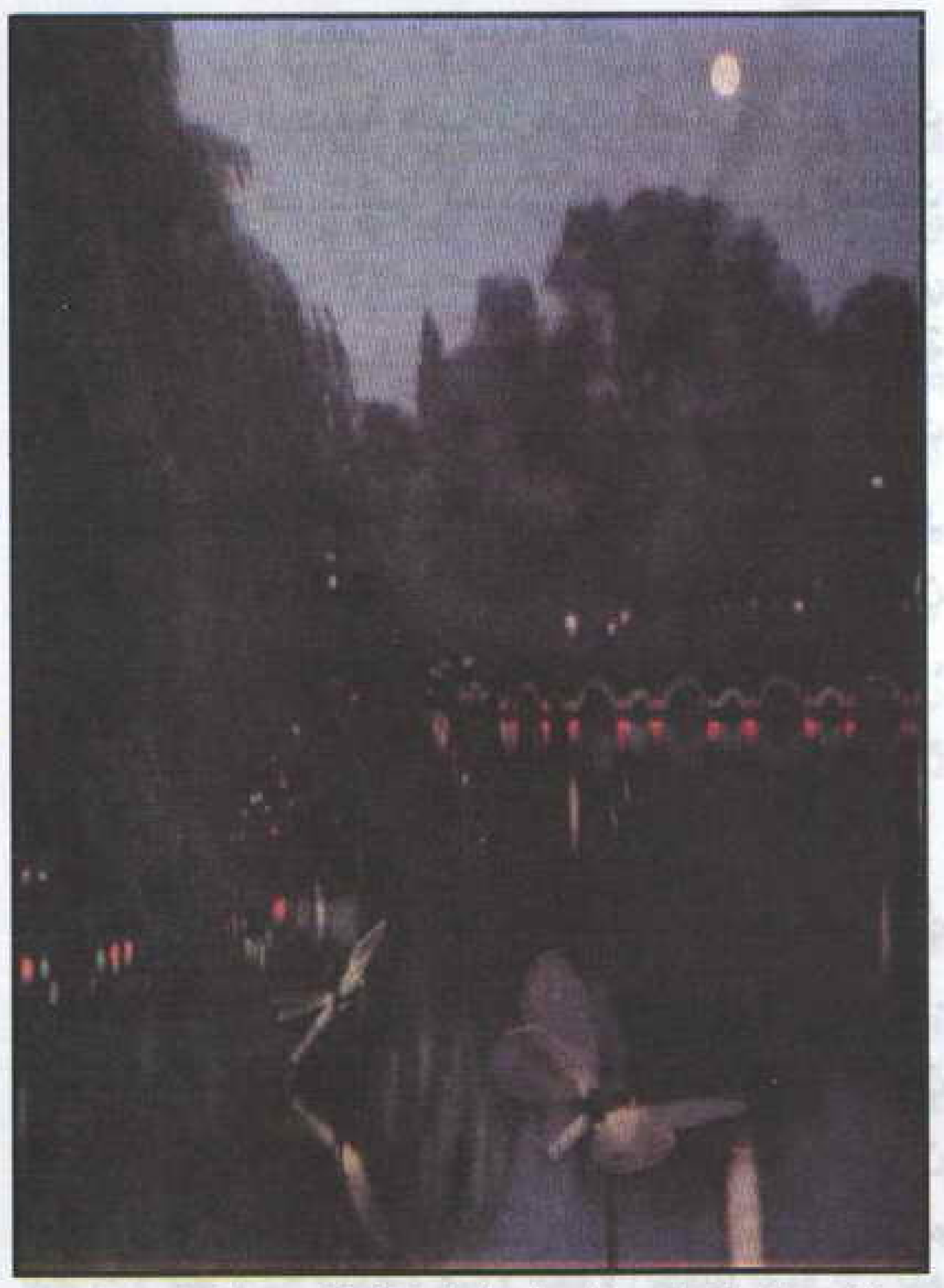
استرسل زوجى فالحديث عن الشاب سفيند « أوَلاَ تعرفون ما الذى حدث له ؟ » . فكر المدرس قليلاً ثم قال « لا أحد يعرف ماذا أصابه بالضبط . ولكنى قمت بالتدريس له ، وأعرفه جيدًا . فهو شاب جاد وطموح ومهذب ، ولكنه شديد الكبرياء ، ولايتسامح فيما يمس كرامته واحترامه لذاته . وأعتقد أنه واجه الكثير من الصعوبات لتحقيق أهدافه ، وشق عليه أن يواجه أهله وخطيبته فآثر الابتعاد » .

اشتركت فى الحديث بدورى وسألت المدرس : « أو لم يكن يحب خطيبته ؟ » ، فقال المدرس « نعم ! وكانا

يستعدان للزواج ، وأهل المدينة كلهم يعرفون ذلك . وكانت خطيبته كارين أولسون Karen Olsson ترعى والديه عند رحيله وكأنها ابنتهما . فلما مات الأبوان رحلت إلى السويد ، للإقامة والعمل هناك . وعلى ذكر ذلك فإن زوجتى شاهدتها منذ أيام فى كوبنهاجن العاصمة ، ولازالت محتفظة بجمالها » فسألته : « وهل مازالت فى السويد ؟» . فقال المدرس : « لا أحد يعرف . فقد لمحتها زوجتى وهى فى الأوتوبيس ، ولم تتمكن من محادثتها . ولعلها جاءت لتشهد حفل عيد الاستقلال الأمريكى ، وتترقب خبرًا عن خطيبها » .

تناقشت أنا وزوجى حول المعلومات الجديدة التى لايعلمها الشاب بكل تأكيد . واستقر رأينا على إرسال خطاب عاجل على عنوانه فى الولايات المتحدة ، حيث بذلنا كل جهد كى تكون الرسالة بسيطة وهادئة إلى أبعد حد . وأكدنا له أننا لم نذكر لأحد أننا نعرفه ، وأننا كتبنا هذه الرسالة لاعتقادنا بأنه يجب أن يعلم بما أخبرنا به الدليل المدرس .

ظللنا طوال الأسبوعين التاليين نطوف بمقاطعات الدينمارك



حدائق جوتلاند فى الدنيمارك ، التى أنشأها الأمريكيون من أصل دنيماركى ، حيث يقام الحفل السنوى .

ومدنها ، طبقًا للبرنامج السياحى للرحلة التى تستغرق شهرًا . ولم يبق لنا سوى أسبوع واحد فى شهر يوليو ، نشهد فيه الحفل السنوى لاستقلال أمريكا فى الرابع منه . ويقام هذا الحفل فى حدائق جوتلاند Jutland فى الشمال منذ عام 1911 حتى الآن . وهذه الحدائق التى تبلغ مساحتها 750 آكر ـ الفدان يساوى 1.038 آكر ـ تضارع فى جمالها حدائق تيفولى Tivoli الشهيرة فى قلب العاصمة كوبنهاجن ، والتى لاتزيد مساحتها على 19 آكر . ولقد اشترى الأمريكيون من أصل دينماركى أرض حدائق جوتلاند ، وعهدوا إلى شركات متخصصة لتنسيقها والمحافظة عليها .

كان دليلنا فى حفل حدائق جوتلاند طالبة جامعية تتفجر حيوية ونشاطًا . وأخبرتنا أولجا Olga ، أنها حجزت لنا مقاعد قريبة من المنصة الرئيسية حيث عليَة القوم وعظماؤهم . وأشارت إلى أن البرنامج يتضمن إلقاء بعض الخطب ، ثم عزف للموسيقى الاسكندنافية والأمريكية . وخلالها يجرى تلاوة بعض الرسائل ، مع الألحان الشعبية من كلا البلدين ، وفى النهاية تنطلق الألعاب النارية قرب المساء ، مع الكثير من المرح وتناول المشروبات والمأكولات .

ألقى مدير الحديقة كلمة ترحيب قصيرة ، ثم بدأت الموسيقى تعزف النشيد الملكى الدينماركى ، وانطلقت حناجر عشرات الآلاف من الحاضرين تنشد فى وقت واحد . وبعد فترة من الكلمات المرحة والموسيقى الهادئة ، وقف رجل على المنصة يثبت الميكروفون . وقالت أولجا بهمس : « سوف يتلو رسائل من الولايات المتحدة . فالآلاف من الدينماركيين يفدون إلى هذا المكان فى مثل هذا الوقت من كل عام ، على أمل أن يعرفوا شيئًا عن أهلهم ، أو أصدقائهم البعيدين » .

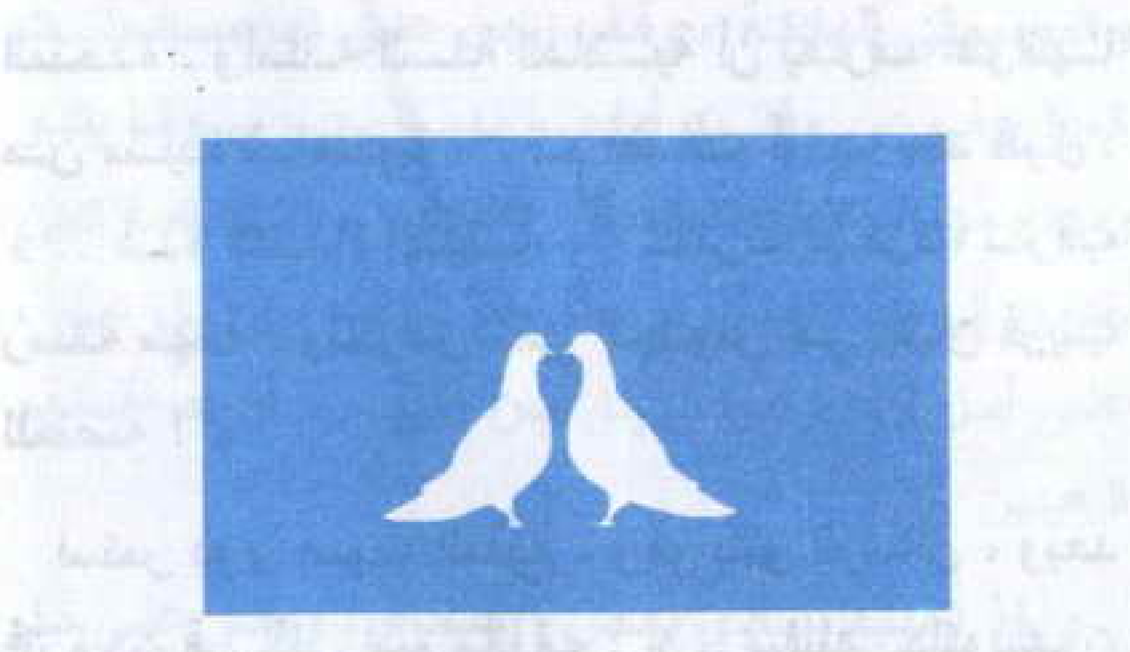
وأخذ المذيع ينادى بعض الأسماء ، ويتلو على كل منهم رسائل من أهلهم أو أصدقائهم من وراء البحار . أو يصحح عنوانًا قديمًا بعنوان جديد . أو يرجو التسامح من الأهل لأفراد من العائلة تقطعت بينهم الأسباب . أو يعلن عن وصول وافد من الولايات المتحدة يأمل فى لقاء ذويه ممن لا يعرف لهم مكانًا . وغير ذلك من الرسائل اليائسة التى تحرك النفوس .

وهمست أولجا تفسر ما نراه : « .. نسبة كبيرة من هذا الحشد من الرجال والنساء يأملون فى لقاء أحبائهم القدامى ، ويرجون معرفة أخبار أهلهم المهاجرين . وهم يداومون على الحضور كل عام بحرص الملهوف . وأعرف رجلاً ظل سنوات يحاول أن يتسقط خبرًا عن ابنته فى الولايات المتحدة . وأمكنه السنة الماضية أن يعرف عنوانها من سيدة شاهدتها » . ثم أضافت أولجا بعد قليل : « .. هذه الفتاة الأنيقة ، استمرت لسنوات تترقب رسالة مهمة . وتحرص على الجلوس فى مكان قريب للمنصة ! »

استمر دوىّ صوت المذيع ، وهو يتلو الرسائل ، وبعد فترة رن فى أذنى اسم مألوف : « .. سفيند جاكوبسون من ريتشموند حاضر بيننا . ويود أن يعرف خبرًا عن فتاة اسمها كارين أولسون من هيرننج » .

وخفق قلبى بشدة ، وتلفت إلى الفتاة التى كانت قريبة منا ، فرأيتها تنتفض واقفة ، ثم جلست مرة أخرى . لقد انتظرت سنوات ، وفى إمكانها أن تنتظر دقائق حتى

ينتهى المذيع من تلاوة كل الرسائل . فضلاً عن أنها تأكدت الآن أن خطيبها سيفيند حافظ على عهده وكلمته ، كما حافظت هى أيضا عليه . وأخيرًا تلاقيا فى موقف مؤثر .



بتصرف مختصر عن المصدر :

Reader's Digest Magazine An Article by Annette Russell .
Pleasantville , N.Y. 10570 , U.S.A.

أخيراً التقى سفيند مع خطيبته كارين ، بعد أن حافظ كل منهما على عهده .

محنة أم فى سفينة تغرق ..

[بقلم : مارتن آشلى]

فى الثلاثينيات من القرن الماضى ـ العشرين ـ كانت اليابان تخطط للسيطرة على دول جنوب شرق آسيا خطوة فخطوة ، ومد نفوذها إلى جنوب وغرب المحيط الباسفيكى ، باعتبار هذه المناطق مجالها الحيوى الحربى .

لذلك انتهزت القوات اليابانية ، انشغال الصين بالحرب الأهلية ، فاحتلت شبه جزيرة منشوريا Manchuria ـ وهى كوريا الجنوبية والشمالية حاليًا ـ فى سبتمبر 1931 . ثم احتلوا ميناء شانجهاى الصينى فى يناير 1932 ، وتوغلوا فى الأراضى الصينية الشمالية ، وحتى سور الصين العظيم فى فبراير 1933 . ثم استأنفوا احتلال كل المناطق الساحلية الصينية عام 1937 ، حيث أتموها فى مارس 1939 . ولم يتوغلوا إلى داخل الصين والمناطق الغربية ، حيث تركوها للحرب الأهلية المشتعلة بين القوات المختلفة .

وعندما اندلعت الحرب العالمية الثانية فى أوروبا ، عندما

احتلت القوات الألمانية النازية بولندا فى سبتمبر 1939 ، لم تمتد إلى المحيط الباسفيكى ، إلا عندما قامت قاذفات الأسطول اليابانى بإغراق الأسطول الأمريكى فى بيرل هاربور شمال وسط المحيط الباسفيكى فى 7 ديسمبر 1941 . وأعلنت الولايات المتحدة الحرب رسميًا بجانب الحلفاء ، ضد دول المحور ألمانيا وإيطاليا واليابان .

وقامت القاذفات اليابانية بإغراق معظم الأسطول البريطانى فى بحر الصين جنوب فيتنام فى 10 ديسمبر 1941 . ومنها البارجة برنس ـ أوف ـ ويلز Prince of Wales ، والبارجة ريبالس Repulse . وكذلك الأسطول الفرنسى فى الهند الصينية ـ فيتنام ولاوس وكامبوديا حاليًا . وكذلك الأسطول الهولندى فى إندونيسيا ـ التى كانت مستعمرة أيضًا ـ وكانت الخسائر كبيرة فى المدمرات والفرقاطات وحوالى 9 غواصات هولندية خلال أيام قليلة .

فى نفس الوقت بدأت القوات اليابانية المتمركزة فى الصين ـ مع قوات دعم أخرى ـ فى احتلال الهند الصينية « ثلاث دول حاليًا » ، وكذلك سيام (تايلاند) ومنها إلى بورما حتى الحدود مع الهند ـ التى كانت مستعمرة بريطانية

فى ذلك الوقت ـ بينما نزلت على السواحل الشرقية للملايا Malaya ـ وهى الآن جزء من اتحاد ماليزيا ـ وأخذت هذه القوات تتقدم بسرعة جنوبًا نحو جزيرة سنغافورة (سينجابور) Singapore فى أقصى جنوب الملايا . وهى مستعمرة بريطانية منذ عام 1819 ، وتعد القاعدة البحرية الرئيسية للقوات البريطانية فى المنطقة .

كان الهجوم اليابانى كاسحًا ، ولذلك أخذ كبار الرسميين والأثرياء فى الهرب من هذه الدول مع عائلاتهم إلى أستراليا أو الهند ، حتى لايقعوا فى الأسر . وفى 8 فبراير 1942 وصلت القوات اليابانية إلى أقصى جنوب الملايا . وما هى إلا أيام حتى يعبروا الممر المائى الفاصل ويكتسحوا سنغافورة ، آخر معاقل البريطانيين فى المنطقة ، بعد أن احتلوا مستعمرة هونج كونج ، فى جنوب شرق الصين بعملية عسكرية خاطفة فى 25 ديسمبر 1941 .

فى ذلك الوقت الحرج ، أمر المندوب السامى البريطانى فى المستعمرة ، بإخلاء زوجات الضباط والمسئولين الكبار من جميع الجنسيات مع أطفالهم إلى أستراليا ، قبل ساعات من سقوط المستعمرة .

★ ★ ★

أبحرت حاملة الجنود البريطانية المسلحة كينجستون Kingston فى فجر يوم 13 فبراير 1942 ، متخفية فى الضباب الكثيف نحو الجنوب ، عبر مضيق مالاكا (ملقا) Strait of Malacca ، وعلى ظهرها حشد كبير من النساء والأطفال والمصابين من العسكريين الهاربين من سنغافورة ، فى طريقها إلى أستراليا .

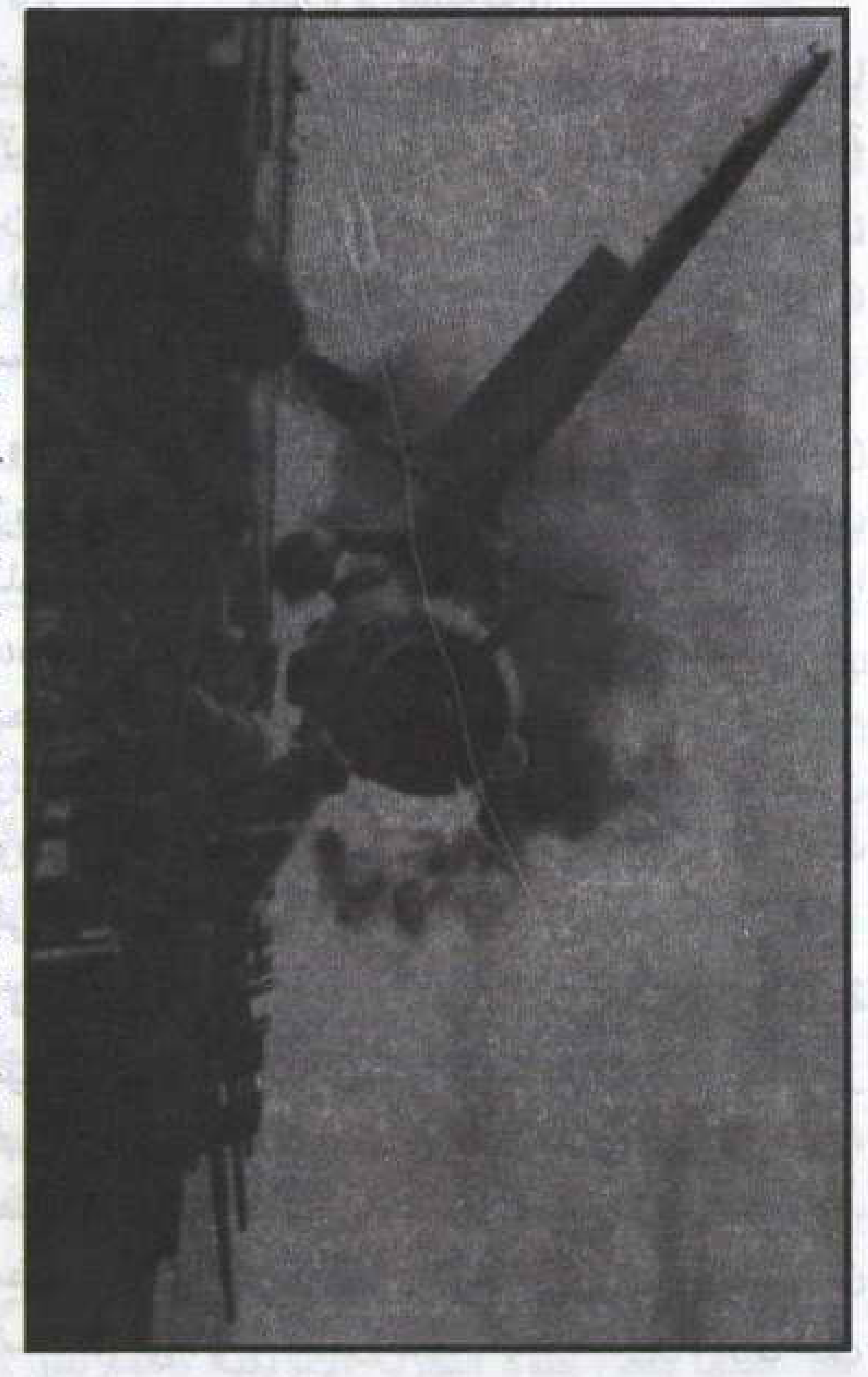
عندما ظهرت أشعة الشمس ، وانقشع الضباب ، لم يكونوا قد تجاوزوا بعد منطقة الخطر . وظهر القلق على ضباط السفينة وركابها ، وأخذوا جميعًا يتطلعون نحو السماء . وكما هو متوقع ، ظهرت قاذفات القنابل اليابانية ، ترافقها مجموعة من الطائرات المقاتلة طراز (زيرو) .

كانت السيدة روث ـ لى Ruth - Lee ضمن ركاب السفينة البريطانية باعتبارها زوجة لأحد كبار الموظفين فى إدارة الجزيرة . وكان بصحبتها طفلتاها الصغيرتان ، حيث احتضنت طفلتها لوتى Lotti البالغة من العمر تسعة أشهر ، وأمسكت بيدها طفلتها باتسى Battsi التى تبلغ من العمر ست سنوات . وخلال لحظات انقضت قاذفات القنابل وألقت قنابلها ،

بينما أخذت المدافع المضادة للطائرات على ظهر السفينة تصكها صكًا . ثم جاء دور المقاتلات ، فأخذت تهدر فوق السفينة وتمطرها بوابل من مدافعها الرشاشة ، وتحولت السفينة إلى كتلة من الجحيم . وأصيبت إحدى المقـاتلات ، فوجهها الطيار اليابانى نحو السفينة للاصطدام بهـا ، ولكنها تعلقت بمدافع سطح السفينة دون أن تنفجـر ، لتلقى مصيرها غرقًا مع السفينة بعد دقائق .

وجدت السيدة روث ـ لى نفسها بين حشد مـن النساء والأطفال المذعورين بالقرب من حاجز السفينة ، وتمكنت من مساعدة طفلتها باتسى فى الهبوط على سلم من الحبال ، مشدود على جانب السفينة . ثم أخذت تهبط السلم محتضنة طفلتها الصغيرة لوتى ، نحو قارب النجاة . ولكن لهلعها وجدت القارب يبتعد عـن السفينة ، بعد أن اكتملت حمولته . ولكن الأم طلبت من باتسى أن تسبح نحو طوق مطاطى قريب للنجاة ، بينما تشبثت قبضتها اليمنى على حبل السلم ، فى مواجهة بعض الركاب فوقها .

فى تلك اللحظة دوى انفجار لقنبلة أخرى ، فهوت الأم إلى الماء ، وتبعها عدد من الركاب . عندما طفت على السطح ، لم يكن هناك أثر للطفلة الرضيعة ، أو لابنتها



سقطت المقاتلة اليابانية فوق مدافع السفينة البريطانية فى أثناء الغارة المدمرة .

باتسى . وبعد فترة اقترب منها قارب للنجاة ، وحملتها الأذرع القوية إلى متن القارب ، ثم أخذ يبتعد بسرعة عن السفينة الغارقة ، حتى لا تسحبه إلى الأعماق دوامات الامتصاص الرهيبة ، بينما كانت الأم تنادى باسم ابنتها فى كل اتجاه .

وصل قارب النجاة فى مساء نفس اليوم إلى شاطئ جزيرة صغيرة مهجورة . وبعد حوالى أسبوع أمكن نقل الناجين فى هذا القارب إلى قرية فى جزيرة سوماترا Sumatra الإندونيسية . وبينما اتجهت جهود الناجين فى البحث عن وسيلة للوصول إلى أستراليا جنوبًا ، كان هم روث ـ لى هو العودة إلى سنغافورة لانتظار ابنتها حين عودتها . فقد تملكها إحساس جارف ، بأنها ما زالت على قيد الحياة ، بعد أن فقدت ابنتها الرضيعة .

استطاعت السيدة روث ـ لى عبور مضيق مالاكا فى سفينة صيد صغيرة ، والتسلل إلى سنغافورة برغم المخاطر الكبيرة . وهناك وجدت فيلتها وممتلكاتها فى أيدى اليابانيين ، وهكذا أصبحت واحدة من ملايين المشردين بلا مأوى . ومضت سنوات الحرب ثقيلة وكئيبة ، إلى أن أعلنت اليابان الاستسلام فى 14 أغسطس 1945 ، بعد التفجير الذى فوق

هيروشيما فى السادس من أغسطس ، وفوق نجازاكى فى التاسع منه . ولكن القوات اليابانية فى جنوب شرق آسيا لم تستسلم إلا فى 12 سبتمبر 1945 ، وهكذا انتهت الحرب فى الباسفيك ، بعد أن انتهت من قبل فى أوروبا فى السابع من مايو 1945 .

شاهدت روث ـ لى عودة آلاف الأطفال واللاجئين إلى ديارهم ، بعد الحرب ، واجتمع شمل الأسر من جديد . ولكن باتسى لم تعد ، ومع ذلك تمسكت الأم بالإيمان بأن ابنتها ما زالت على قيد الحياة فى مكان ما .

فى أوائل عام 1946 ، تلقت السيدة روث ، رسالة من أختها كاترين Katherine التى تقيم مع زوجها فى نيويورك ، وأرفقت بالرسالة قصاصة من صحيفة نيويورك تايمز New york Times ، ولم تكن الأخت تعلم بمأساة باتسى لاستحالة المراسلات فى أثناء الحرب . ولكن ما طالعته فى الصحيفة أثار انتباهها ، وربما كان مجرد تشابه أسماء ، ولذلك أرسلت القصاصة لأختها فى سنغافورة .

ذكرت الصحيفة الأمريكية قصة طفلة صغيرة باسم باتسى . عثر عليها بعض جنود البحرية الأمريكية « المارينز »

Marines ، فى أثناء معارك « جوادال ـ كانال » فى نوفمبر 1942 . حيث تولى رعايتها الأب فريدريك جوتليب Fredrick Gottlieb . ثم أرسلها إلى ملجأ فرنسى تديره الراهبات ، فى جزيرة إيفيت Evette ، ضمن مجموعة جزر نيو هيبريديز New Hebrides الخاضعة للسيادة الفرنسية والبريطانية المشتركة شمال شرق أستراليا .

★ ★ ★

بكت الأم كثيرًا وهى تقرأ القصاصة عشرات المرات . وأرسلت على الفور خطابًا للأب جوتليب عن طريق بريد البحرية الأمريكية ، وطلبت فيه معرفة كافة التفاصيل عن وصول باتسى إلى « جوادال ـ كانال » Guadal - Canal ، التى تبعد حوالى 6800 كيلومتر جنوبًا من سنغافورة ، وهى جزيرة ضمن مجموعة جزر سولومون Solomon ، شمال شرق أستراليا ، كانت تحتلها القوات اليابانية .

عندما تسلم الأب جوتليب رسالة الأم الحائرة ، أسقط فى يده . فكيف يمكنه أن يخبر الأم بأن هذه الطفلة لايمكن أن تكون ابنتها المفقودة ، ومع ذلك كتب ردًا للأم يحمل

القصة الحقيقية للطفلة باتسى كما يعرفها . فخلال المعارك التى جرت فى جزيرة جوادال ـ كانال ، تقدم بعض الأهالى لأحد مواقع البحرية الأمريكية ، وهم يحملون طفلة صينية الملامح . وقالوا إنهم عثروا عليها فى حفرة خارج إحدى القرى ، التى أباد اليابانيون أهلها ، بتهمة اتصالهم بالقوات الأمريكية .

بذل أطباء البحرية الأمريكية ما فى وسعهم لعلاج الطفلة من جرح كبير فى رأسها ، ومن الملاريا التى كانت تلهب جسدها بالحمى . ثم تركوها فى رعاية الأب فريدريك جوتليب ، وهى على حافة الموت . ولكن هبطت درجة الحرارة ، ومرت الأوقات العصيبة ، والتأم الجرح بمرور الأيام .

ومنذ ذلك الوقت ، تعلقت الطفلة بالأب فريدى Fredy ـ كما كانت تناديه ـ أينما ذهب . ولكنها كانت حزينة دائمًا ، صامتة أبدًا ، ولاتبتسم إطلاقًا ، وأسماها اسمًا صينيًا وهو « بات ـ باى » Pat - Pi . برغم أنها لم تكن تفهم أى كلمة صينية ، أو اللغة المحلية فى الجزيرة ، وإن كانت تستجيب أحيانًا لبعض الكلمات الإنجليزية . وطبقًا لاقتراح بعض

الجنود الأمريكيين فى إطلاق اسم غربى على الطفلة ، فقد أسماها باتسى .

ولما كانت الحرب دائرة فى المنطقة ، فقد انتهز الأب فريدى أول فرصة لإرسال الطفلة جوًا إلى ملجأ جزيرة إيفيت إلى الجنوب من جوادال ـ كانال . وعندما حانت لحظة الوداع أخذت الطفلة تبكى وتصرخ بشدة ، مما لفت نظر المراسل الحربى فورستر مورفى Forester Murphy ، الذى أرسل قصتها إلى الصحيفة الأمريكية .

وكان من الواضح ـ من رسالة الأب فريدى ـ أن المصادفة وحدها هى التى جعلته يطلق اسم باتسى على الطفلة . ومع ذلك لم يتزعزع إيمان روث ـ لى بأن الطفلة ابنتها . وأخذت تعد الترتيبات للسفر إلى ملجأ جزيرة إيفيت .

استقبل نائب الحاكم فى الجزيرة برنارد بودر Bernard Boudreaux الأم الحائرة ، فى أواخر عام 1946 ، حيث استدعى الطفلة من الملجأ فى مكتبه . هرعت الأم الملهوفة فاتحة ذراعيها ، ولكن الطفلة نفرت منها وابتعدت عنها . كما أن ملامح الطفلة قد تغيرت كثيرًا عما كانت منذ سنوات . ولما انصرفت باتسى ، كانت الأم فى حالة نفسية

سيئة . وحاول نائب الحاكم أن يواسيها ، وطلب منها أن لا تتعجل الأمور ، وأن تمكث بضعة أيام ، تحاول خلالها أن توطد علاقتها بالطفلة ، إذ عليها أن تتأكد تمامًا قبل مغادرة الجزيرة .

فى اليوم التالى ، رافقت إحدى الراهبات الطفلة فى مقابلة ثانية فى مكتب نائب الحاكم . ولفت بودرو نظر الأم إلى علامة التطعيم على ذراع باتسى ، قائلاً : « وجود هذه العلامة يعنى أن الطفلة لم تولد فى جوادال ـ كانال ، أو الجزر القريبة منها . فالأطفال لا يطعمون بمصل الجدرى ، لعدم وجوده فى هذه المناطق » . وأكدت روث أنها طعمت ابنتها فى هذا الجزء من الذراع ، عندما كان عمرها ثمانية أسابيع .

ثم تذكرت الأم آثار جرح قديم على الجفن الأيسر للطفلة ، وكان موجودًا بالفعل . ثم أشارت الراهبة إلى وجود علامة طبيعية على الفخذ ، ولم يكن لدى باتسى أية علامة طبيعية على جسمها . ولكن الطبيب الفرنسى أكد أن هذه العلامة ناتجة من مسحوق البارود . ولكن روث لم تقتنع تمامًا ، وظلت تأمل أن تتعرف عليها الطفلة ، ولكن لابد من إتاحة الوقت الكافى للتذكر .

أخذت الأم تلاحظ الطفلة خلال الأيام التالية ، ووجدتها صامتة دائمًا ، وتنفر حتى من أترابها فى الملجأ ، ولم يظهر عليها أية بادرة تنم عن معرفتها لأمها . ثم خطرت لروث فكرة جيدة ، فقد كانت تحمل معها بطاقة بريدية كانت باتسى قد أرسلتها إلى خالتها كاترين فى نيويورك قبل اندلاع الحرب مباشرة . وكانت الكلمات بالإنجليزية ، ولكن باتسى كانت تخطئ دائمًا فى كتابة حرف E ، فتكتبه مقلوبًا إلى الناحية الأخرى Ǝ .

جلس بعض أطفال الملجأ ـ وبينهم باتسى ـ لكتابة بعض الرسائل . ولما جاء دور باتسى ، كانت كل حروف E التى كتبتها مقلوبة . فى تلك الليلة مكثت روث ـ لى مع ابنتها باتسى فى مقر نائب الحاكم . وبعد أن استغرقت الطفلة فى النوم ، أخذت تراقب كل حركة تصدر منها . وعند الفجر استدارت باتسى ، وتفوهت بكلمات غير مفهومة ـ كعادتها ـ ثم ألقت بذراعها على عنق أمها ، وعندئذ زال كل شك فى قلب الأم بعد أيام من التوتر الشديد . وفيما بعد أكد خبير فى الخطوط أن الخط القديم والحديث لشخص واحد .

بدأت شخصية باتسى تظهر فى موطنها بسنغافورة . وعادت إليها الذكريات القديمة ، ووسط البيئة المألوفة

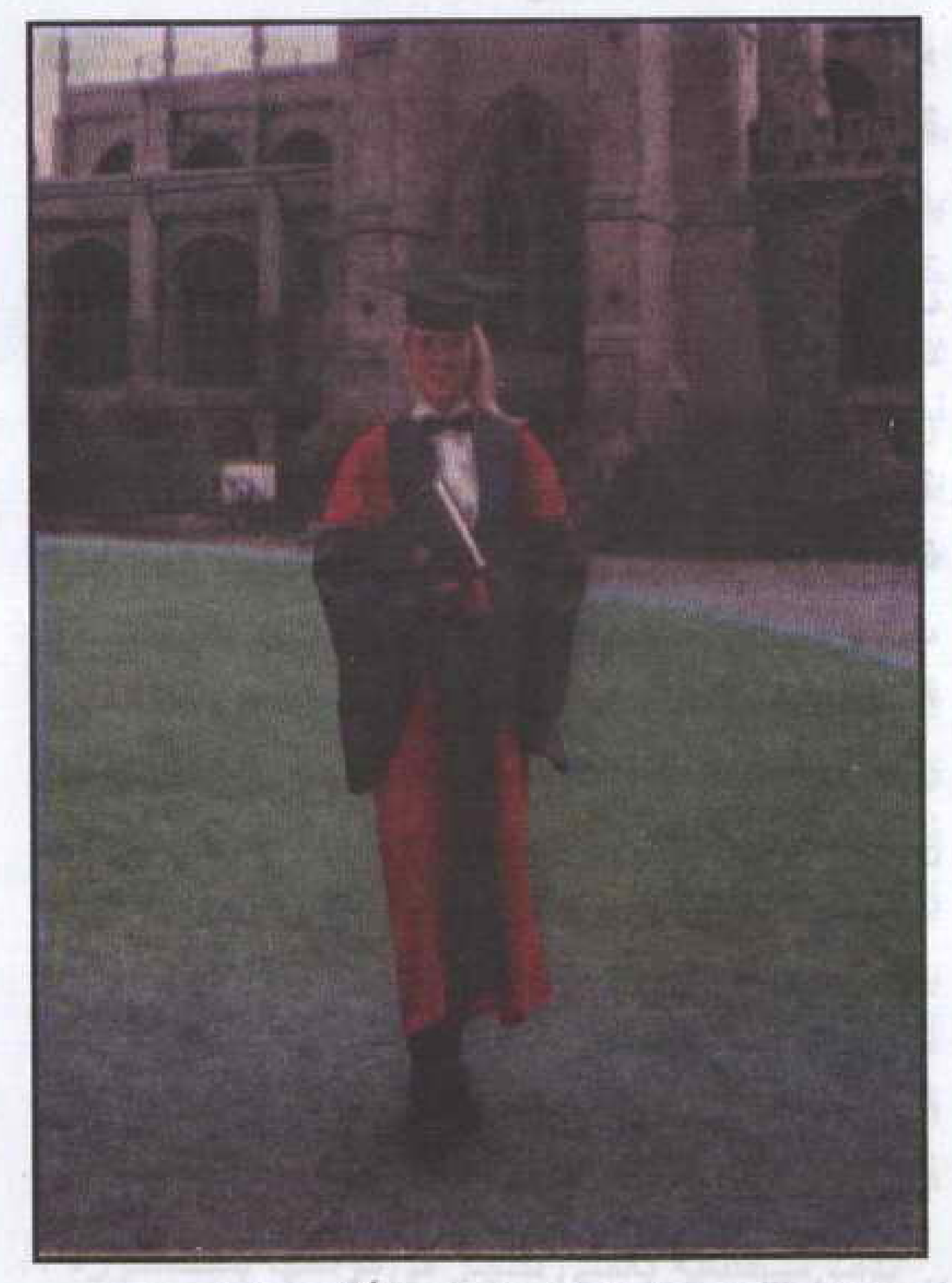
التى تعودت عليها . وأخذت تراسل الأب فريدى وتشكره على رعايته لها ، وعادت إليها ثقتها بنفسها ، وحرارة حديثها ، وصدق مرحها ، وتستعيد ما فاتها .

وكانت الأم ترجو أن تتمكن باتسى من دراسة الطب فى الولايات المتحدة ، وطلبت من الأب فريدريك جوتليب ـ أو الأب فريدى ـ مساعدتها فى تحقيق ذلك . وبالفعل اتخذ الأب العطوف كافة الترتيبات لإلحاق باتسى بكلية البنات فى مدينة فلاديلفيا . ثم فى الجامعة الكاثوليكية بواشنطون ، حيث تخرجت فيها فى عام 1959 ، وعادت إلى سنغافورة طبيبة فى خدمة أهلها . لقد شاءت حكمة الله سبحانه أن يسبغ على هذه الأم وابنتها الكثير من الأحداث غير العادية ، والتى تعد من المعجزات . وهى أحداث قد تقع للكثيرين منا على مسار حياته ، ولكننا ننسى .

بتصرف مختصر عن المصدر :

New york Times Magazine , An Article by Martin Ashley.

229 West at 43 Street , New york , N.y. 10036 , U.S.A.



تخرجت باتى طبيبة حيث تعمل حاليًا فى سنغافورة .

بطاقة دعوة لطالب فقير ..

[بقلم : الإيرل ريد سيلفرز]

لم يكن فقيرًا على الإطلاق ، فقد كان يمتلك الشباب والطموح والذكاء ، ورقة الشمائل والمستقبل الممتد ، ولكنه فقط لم يكن يمتلك المال . وهو أمر لادخل له فيه ، فالأرزاق بيد الخالق الكريم ، ولا شأن لها بالأعمال أو الشخصيات أو الجذور .

كان طالبًا فى الفصل النهائى بالمدرسة الثانوية ، وكانت هى طالبة فى بداية مرحلتها الثانوية . وازدادت معرفتهما ، حينما انضمت إلى الفريق الرياضى الذى يرأسه . كانت أسرتها قد انتقلت منذ فترة قليلة إلى المدينة الصغيرة ، وعرف أن والدها ينحدر من عائلة مرموقة ، وأنه من كبار رجال الصناعة فى إحدى الشركات الضخمة ، وأنهم يسكنون فى إحدى الفيلات فى ضاحية مميزة .

أما هو فيعيش مع والدته فى منزل قديم ورثته عن عائلتها ، بعد وفاة والده . ولما كانت حصيلة إيجار الشقق

والغرف فى المنزل لا تكفى لسد الاحتياجات المتزايدة ، فقد عملت والدته على حياكة الملابس الأنيقة لسيدات المجتمع فى المدينة . وكانت تفعل ذلك بشعور من الفخر ، وهى مرفوعة الرأس ، خاصة وأنها كانت تدخر المال ، حتى تحقق حلمها ـ وحلم زوجها المتوفى ـ فى إلحاق ابنهما فى الكلية التى يرغبها حتى تخرجه . ولكن صديقته التلميذة لم تكن تعرف كل ذلك ، بل كان كل ما تعرفه أن والدته صانعة ثياب فى منزلها .

عندما أخبر والدته أنه سوف يصطحب صديقته إلى حفل نهاية السنة فى المدرسة الثانوية ، غامت عيناها المرهقتان . كانت تعرف أن معظم أحلام ابنها الوحيد تدور حول صديقته ، وكانت تعرف أيضًا أن هناك مسافة اجتماعية بين الأسرتين ، ليس من السهل عبورها . ولكنها لم تخبره بذلك ، بل أخذت تشد من أزره ، وتدعم ثقته بنفسه واعتزازه بشخصيته ورجولته . وبرغم أنها لم تعرب عن أسفها لعدم وجود ملابس مناسبة أو حلة جديدة لمثل هذه المناسبة ، فقد أشارت إلى حلته الرمادية ، المصنوعة من صوف اللودن السميك Loden ، وأكدت له أنها مناسبة تمامًا .

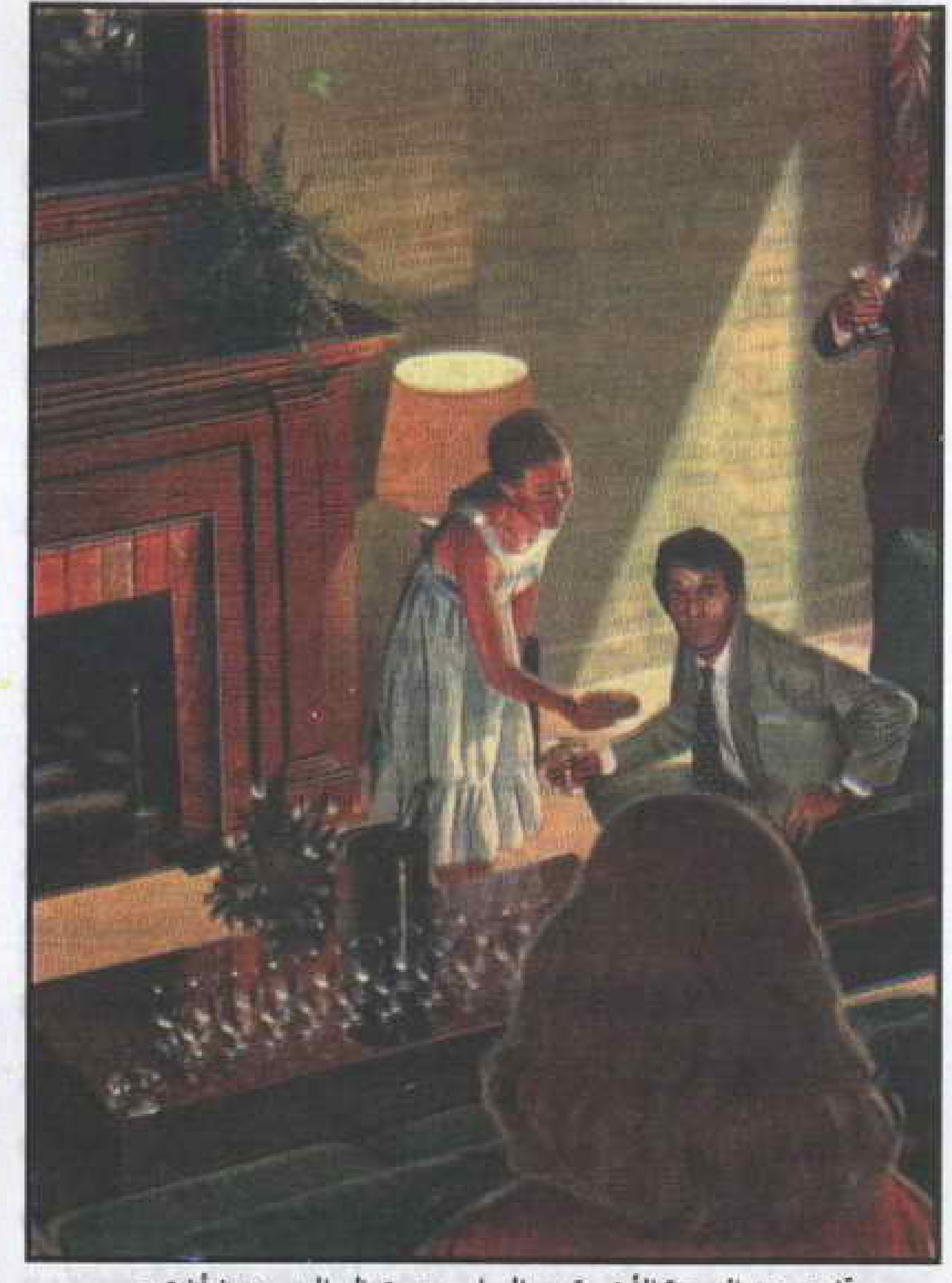
جلس فى بهو الطابق الأسفل فى فيلا صديقته ، فى انتظار

أن يصطحبها إلى الحفل المدرسى . ثم هبطت الدرج أخيرًا ، وهى ترتدى ثوبًا جديدًا . كانت أشبه بأميرات الأساطير ، وكانت هناك ورود حمراء فى وجنتيها ، وزهور سمراء فى شعرها . ووقفت عند الدرجة الأخيرة من السلم ، وهى تنظر إليه ، دون أن تهتم بحلته القديمة . ولا بد أنها شاهدت فى عينيه شيئًا ما يدخره المرء للحظات الخاصة .

ثم جاءت والدتها بعد فترة ، ووجد أن هناك اختلافًا واضحًا فى تعاملها معه ، وشعر بأنه غريب عن هذا العالم ، ولكنه لم يعر الأمر اهتمامًا كبيرًا ، فقد كان معتدًا بشخصيته ، واثقًا من نفسه ، ويعرف تمامًا كيف يمكنه أن يتجاهل مثل هذا التحفظ أو الاستهجان ، الذى سبق أن تعامل معه فى مواقف أخرى . وسارا معًا إلى الحفل فى حديقة المدرسة ، ولم يتفارقا لحظة فى وجود الزملاء . واستمعا إلى موسيقى النجوم ، ومرح الزميلات ، وفكاهات الأصدقاء . وفى النهاية عاد بها إلى مسكنها ، وهما يسيران معًا فوق الأعشاب ، قبيل غروب الشمس . وودعها عند الباب الخارجى للحديقة ، وتلاقت عيناهما فى نظرة سريعة ، جعلت قلبه يفقد بعض دقاته .

مرت الأيام ، والتحق هو بكليته المفضلة بإحدى الجامعات فى المدينة القريبة . وكان القدر رحيمًا به وبوالدته ، حين حصل على منحة دراسية نظرًا لتفوقه الرياضى والعلمى ، وحتى تخرجه . أما هى فقد استأنفت دراستها الثانوية حتى استكملتها . خلال تلك الفترة كانت لقاءاتهما متباعدة للغاية ، والاتصالات تكاد أن تكون منقطعة . كان عليه أن يتوجه بالقطار كل يوم إلى جامعته ، وكان عليه أن يحافظ على تقدمه حتى يحافظ على استمرار المنحة الدراسية ، ولكن الأهم من ذلك ، أن والدة صديقته لم تحبذ مثل هذا الارتباط بأى حال برغم براءته ، وكانت الابنة تشعر بالارتباك بين نداء عاطفتها ، وتعليمات والدتها الصارمة .

فى ذلك الصيف كان قد تخرج من كليته ، وأخذ فى البحث عن عمل مناسب . وكانت هى قد أنهت دراستها الثانوية وتأهلت للالتحاق بالجامعة . وفجأة وصلته بالبريد ـ كعادتها القليلة جدًا ـ بطاقة دعوة ، لحضور حفل تخرجها فى نفس المدرسة الثانوية التى كان بها . وآثر ألا يذهب ، حتى لايتسبب فى أى حرج لها أمام زميلاتها وأصدقائها ، خاصة



وقفت عند الدرجة الأخيرة من السلم وهى تنظر إليه ، دون أن تهتم بحلته القديمة .

وأنه ابتعد سنوات ولم يعد يعرف الكثيرين ، ولكنه فى واقع الأمر كان يتمنى لها السعادة طوال حياتها ، ويريد أن يتوارى عن مسار طريقها ، حتى يمنحها فرصة التعرف على من هو أقدر منه فى توفير مثل هذه السعادة طبقًا لمستواها الاجتماعى ، والذى لايستطيع - بإمكانياته المتاحة - أن يوفرها لها ، فربما كان رأى والدتها هو الأفضل فى المستقبل .

التقيا مصادفة بعد أيام فى أحد شوارع المدينة ، وأراد أن ينسحب بسرعة ، بعد أن هنأها بنجاحها . ولكنها قالت له إنها سوف ترحل فى اليوم التالى لقضاء الصيف مع أسرتها ، ثم تتوجه مباشرة إلى جامعتها فى مكان آخر .

كان يقف أمام « المأساة » وجهًا لوجه ، فهذا هو إذن اللقاء الأخير ولن يراها أبدًا . فلا أقل من قضاء بضع دقائق معًا ، يطرقان الأرصفة ويجوبان الأشجار الممتدة . قال لها : « فى مثل ذلك الوقت غدًا ، سوف تكونين بعيدة » . وردت قائلة « أفضل أن أكون معك » . قال لها إنه

حصل على عمل فى إحدى الشركات الكهربائية ، فتمنت له النجاح . قالت له إنها سوف تكتب له على عنوان منزله ، فنظر إليها ولم يرد . وكان لابد من الفراق ، وقالت له : وهما يتصافحان « أريدك أن تحضر الحفل الختامى للسنة الأولى فى الكلية » ، فأطرق برأسه ولم يعد بشىء .

خلال الصيف وصلته رسالة تقول له فيها : إن والدتها تعتقد أنه لاينبغى أن نتراسل كثيرًا . إذ حدث أن شقيقتها قالت لوالدتها - فى غمرة من طيش الشباب - إنها تهيم به طوال الوقت ، وإنها تعيش فى حلم غير واقعى .

مع مرور الأيام ، تغيرت أشياء كثيرة فى المدينة الصغيرة . اختفت الحدائق والمروج الخضراء ، وشقت الطرق السريعة وازداد عدد السيارات ، وأزيلت البنايات الأثرية ذات الطراز المعمارى المريح ، وارتفعت الأعمدة الخرسانية . وانتشر الصخب والضجيج والتلوث . حتى المدرسة الثانوية ، انتقلت إلى مبنى جديد يخلو من الجمال ، وحل مكانها مبنى حكومى ينطق بالقبح .

كتب إليها على عنوانها فى الكلية ، ولكنها لم تكن ترد فى أغلب الأحيان . ولكنه بدأ يتطلع إلى الحفل الختامى للسنة الأولى فى الجامعة . وأخذ يستعد لتلك اللحظة ، وهو يتخيل احتجاج والدتها على دعوته . وفى نفس الوقت بذل جهدًا كبيرًا فى عمله ، ولم يكن مكانًا مهمًا فى البداية ، ولكن كان هناك فرصة جيدة للتقدم ، وتحقيق قدر من النجاح .

وصلته ـ وهو لايكاد يصدق ـ بطاقة دعوة منها لحضور الحفل الختامى فى كليتها . وفى اليوم المحدد سافر فجرًا بالقطار إلى مقر جامعتها ، وتوجه مباشرة إلى الحفل ، حيث قدمته إلى زميلاتها وأصدقائها . ثم دعته للعشاء فى بيت الطالبات ، وشعر أن ملابسه لا تتناسب مع ملابس السهرة فى مثل هذه المناسبات ، بالمقارنة بما يرتديه الآخرون من حوله ، بما فيها المعاطف السوداء والقفازات البيضاء .

بعد ذلك انطلق الأصدقاء فى سياراتهم ، ولكنها قالت له فى بساطة إننى أفضل السير . إنه بالتأكيد لا ينتمى إلى هذا العالم ، لم يكن قد اشترى لها زهورًا كما يفعل

الآخرون . ولم يستطع أن يشارك أصدقاءها وزملاءها فى الكلية الحديث بلغتهم الخاصة واهتماماتهم المختلفة . ولم يكن يمتلك سيارة ، ولم يخبره أحد بإعدادها مقدمًا من مكاتب تأجير السيارات . بل وحتى لم يحجز فى أى فندق لارتفاع تكلفتها ، وكان عليه أن يعود مباشرة بالقطار . كان يفكر فى كل ذلك وغيره بصوت عال ، وهى تستمع إليه فى صمت ، فى طريقهما إلى محطة القطار .. سيرًا على الأقدام .

قالت له : « أردت أن تقضى وقتًا طيبًا ! » . ورد عليها : « لم أستطع ! كان من الخطأ إحضارى إلى هنا . إننى لا أنتمى إلى هذا المجتمع » . بعد فترة جاء القطار ، ومد يده يصافحها وقال لها : « .. إذا حدث وتذكرتينى يومًا ، فهل لك أن تتذكرى أنى أحبك كثيرًا ؟ » . فأغلقت عينيها وقالت له : « .. لا تقل ذلك ؟ » وظن أنها تقصد أنه لايجب عليه أن يصرح بحبه لها .

عند عودته ، كتب لها رسالة متحفظة قصيرة ، يشكرها على دعوتها . وقال لها إنه سوف يفهم ، إذ لم تهتم بالرد . ولكنه لم يتلق ردًا ، ولم يبق له سوى الذكريات .

ومرت الأيام وانتقل رئيسًا لفرع الشركة فى مدينة أخرى ، واصطحب والدته لتعيش معه تحت رعايته . وبدأت الأمور تتحسن تدريجيًا محققًا نجاحات متميزة . وحدث بعد فترة أن عاد إلى مدينته ، وتقابلا بالصدفة بعد تخرجها فى الجامعة ، وعادت الذرات الذهبية إلى عينيها مرة أخرى . ثم أخذا يطرقان الأرصفة ، وهما يتحدثان فى كل شىء ، إلى أن قادتهما قدميهما إلى شاطئ البحر عند الغروب . وهناك ذكرها بكلماته الأخيرة منذ سنوات : « .. إذا حدث وتذكرتينى ! » فبكت من التأثر . وهكذا اتفقا على الزواج .

★ ★ ★

أخذ يذكرها بكل ذلك بعد حوالى ربع قرن ، وكان يساورها القلق بشأن ابنتهما ، تمامًا كما انتاب القلق والدتها عليها من قبل . وابنتهما لم تتجاوز العشرين من عمرها ، وقد تعلق قلبها بزميل لها فى الجامعة . طلب منها أن تمنح الشاب الصغير المكافح فرصة طيبة ، هى نفس الفرصة التى كان يبحث عنها من قبل بلا أمل . عندما كان فى بدء حياته ، فقيرًا متواضعًا ، مهزومًا من الداخل ، مسحوقًا فى أعماقه ، مطعونًا فى كبريائه .



وقفا عند شاطئ البحر عند الغروب ، واتفقا على الزواج .

اقترح عليها دعوة الشاب المسكين إلى العشاء فى النادى ، بدلاً من منزلهما الفاخر . وقد لا يشعر الشاب بالألفة والراحة فى وجود الشخصيات البارزة من صفوة المجتمع من أصدقائهم ، ولكنه أكد لها أنه سوف يتناسى مركزه الحكومى الكبير وشهرته ككاتب مرموق ، ويحاول أن يقترب كثيرًا من عالم الشاب وعقله ، فقد مر هو نفسه بذات التجربة ، عندما دعى - وكان طالبًا فقيرًا - إلى حفل الكلية !

★ ★ ★

هذه الأحداث تخلو من الأسماء والأماكن والأزمنة ، حيث تتكرر فى كل وقت ومكان ، خاصة فى عصرنا المادى الحالى . حيث ينظر إلى الثروة كمعيار أساسى لتقدير مكانة المرء فى المجتمع ، بجانب السلطة والجاه . ولاشك أن المال عنصر مهم فى مسار الحياة ، ولكنه ليس العامل الرئيسى . ولا ينحصر الرزق فى المال فحسب ، ولكنه يشمل ما لا يُحصى مما يتكرم به اللّه من فضله على عباده .

وأشار اللّه (سبحانه) أنه فضل بعضنا على بعض فى الرزق (النحل - 71) ، وأنه هو الرزاق الكريم (فاطر - 3) . وأمرنا أن لا نتمنى ما فضل به بعضنا على بعض (النساء - 32) . وحذرنا من أن أموالنا وأولادنا فتنة لنا (التغابن - 15) ، وأن كليهما زينة الحياة الدنيا (الكهف - 46) . وقد يختبرنا اللّه بقلة المال (البقرة - 155) - أو كثرته - ليُمحِّص الذين آمنوا (آل عمران - 154) ، ويُظهر حقيقة ما فى نفوسهم وقلوبهم . والشكر أو الصبر مع التقوى قرينة الرزق وسبب له (الطلاق - 3) ، وأنه (سبحانه) يرزق من يشاء بغير حساب (البقرة - 212) .

ثم إن المال مال اللّه (النور - 33) ، ونحن مستخلفون فيه (الحديد - 7) . وأمرنا بتطهير أموالنا بالصدقات (التوبة - 103) ، وشدد على إيتاء الزكاة كركن من الإيمان (النساء - 162) . ووعدنا بأن هذا الأمر لن ينقص من أموالنا شيئًا (سبأ - 39) . وأكد أننا لن ننال البِرّ - أى الخير كله - حتى ننفق مما نحب (آل عمران - 92) ، وأن يكون الإنفاق ابتغاء وجه اللّه (البقرة - 72) ، بل إن

كثرة الأموال ـ والأشياء المادية ـ قد تكون نقمة شديدة لهؤلاء الذين نسوا ما ذُكَروا به ، ففتح الله عليهم أبواب كل شىء (الأنعام ـ 44) ، ليُمهلهم ويستدرجهم ، ثم يأخذهم أخذ عزيز مقتدر ، وما لهم فى الآخرة من نصيب ، بعد أن خسروا الدنيا بالفعل .

فليس هناك مبرر إذن ، لاتخاذ سعة المال ، ووفرة الأشياء المادية ، مؤشرًا لتصنيف البشر ، وتقدير قيمتهم الحقيقية . بل إنه يُعد أسوأ المقاييس ، وأكثرها تضليلاً ، بما جُبل عليه البشر من حب المال والانحناء لسطوته .



بتصرف مختصر عن المصدر :

Family Weekly Magazine, An Article by Earl Reed Silvers , Dated Jan . 1967 .
641 Lexington Avenue . New york , N.y. 10022 , U.S.A.

اليتيمة التى عثرت على نفسها . .

[بقلم : بيرل باك]

تقول الأديبة الأمريكية اللامعة بيرل باك Pearl Buck ، إنها لم تستطع أن تنسى هذه الأحداث الواقعية ـ التى كانت طرفًا فيها ـ لطفلة صغيرة يتيمة ، وهى بالفعل قصة واقعية يصعب نسيانها بسهولة . ولقد قضت بيرل باك (1892 ـ 1973) طفولتها بصحبة والديها فى الصين . وكان لذلك أثر كبير فى تكوين وصقل موهبتها الأدبية عن الحياة فى الصين . وقد حصلت على جائزة بولتزر Pulitzer Prize الأدبية الأمريكية الرفيعة ، عام 1931 عن روايتها (الأرض الطيبة) The Good Earth . كما أن لها العديد من الكتب والروايات ، التى تحولت إلى أفلام سينمائية . وفى عام 1938 حصلت على جائزة نوبل فى الأدب .

★ ★ ★

لكل عام ذكرياته ، ولكن فرحة العام الذى مضى ، كان لها مذاق خاص ، وذكرى لايمكن نسيانها . إنها قصة

واقعية حدثت بالفعل لعروس جميلة ، تضع تاجًا من الزهور على شعرها المنسدل . و(ماری) Mary ليس اسمها الحقيقى ، ولكنه يناسبها . كانت فى الثامنة من عمرها ، حينما رأيتها لأول مرة منذ 14 سنة . لم أكن أعرفها من قبل ، ولكنى تعرفت مشكلتها فى خطاب تسلمته يومًا فى بريد الصباح .

وكان الخطاب مرسلاً إلىَّ من إحدى المؤسسات التى ترعى الأطفال الصغار الذين فقدوا ذويهم ، وليس لهم من يرعاهم فى هذا العمر الغض . تحدثت السطور عن طفلة نسيها الجميع . لم يكن أحد يعرف بالضبط من تكون ، بعد فقد ملفها وأوراقها بصورة ما خلال السنوات التى شبت فيها فى المؤسسة . وكان الأطفال يأتون ويتدربون ثم يذهبون ، ولكن مارى بقيت ، وليس لها من أحد فى هذا العالم يسأل عنها ، ويهتم بأمرها . كانت منفردة بنفسها ، تحب العزلة ، ولا تختلط مع الأطفال ، ولاتتكلم على الإطلاق . وتساءل الخطاب فى النهاية ، إن كان من الممكن لمؤسسة (دار الترحيب) أن تهتم بالطفلة ، وتضمها لرحابها ؟ ومؤسسة (دار الترحيب) هذه ، هى هيئة مدنية ، كنت قد ساعدت فى تأسيسها فى فيلاديلفيا Philadelphia ،

بولاية بنسيلفانيا Pennsylvania الأمريكية . ومهمتها الخيرية رعاية الأطفال اليتامى وتعليمهم ، مع تأهيلهم للتبنى القانونى عن طريق المحكمة ـ طبقًا للقانون الأمريكى .

كان الخطاب عاديًا ، فيما عدا فقرة واحدة فقط ، « أن الطفلة لا تتكلم على الإطلاق » . ومعنى ذلك أنها قد تكون مصابة بتخلف ذهنى ، مما يستلزم علاجًا ورعاية خاصة ، ولم يكن فى مؤسسة (دار الترحيب) ذلك العلاج ومثل هذا التدريب الخاص ، باعتبارها هيئة للتبنى . لذلك كتبت اعتذارًا عن قبولها ، فليس فى إمكاننا عمل أى شىء لمارى . وأشرت فى نهاية الخطاب ، أنه لو أمكننى شخصيًا أن أجد لها مكانًا فى هيئة أخرى للأطفال المتأخرين ذهنيًا ، فسوف أفعل .

أرسلت الخطاب بالبريد ، وحاولت أن أنسى أمر الفتاة المسكينة التى نسيها الجميع . وتشاغلت بحياتى واهتماماتى اليومية .

لم أستطع النوم ، وكان اسم الفتاة يدوى فى أذنى ، ولكنى حاولت أن أنفض يدى تمامًا من هذا الموضوع ، فليس فى إمكانى أن أفعل شيئًا لفتاة متخلفة ذهنيًا . هذا

ليس فى مقدورى علىٍ الإطلاق . وشعرت بالراحة لهذا التحليل ، فغفوت قليلا ، ولكنى استيقظت فى وقت ما بعد منتصف الليل ، وفى رأسى سؤال واضح ينسف كل الثقة التى غفوت عليها « كيف لى أن أعرف أن مارى متأخرة ذهنيًا ؟ وكيف لى أن أحكم على شخص لم أره ؟ وكيف لى أن أطمئن إلى قرار خطير - قد يحدد مستقبل طفلة - من مجرد فقرة فى خطاب ؟! وكيف لى أن أحتفظ بنقاء الضمير وراحة البال بقرار متعجل فيما بقى لى من حياتى ؟! » . أصبح الأمر واضحًا تمامًا بالنسبة لى ، فقد يكون المسئولون فى مؤسسة رعاية الأطفال مشغولين فى أعمالهم . ولم يكن لدى أحد منهم الفرصة لاكتشاف حقيقة مارى بالضبط . وكان لابد أن أعرف ذلك بنفسى .

كتبت خطابًا ثانيًا على الفور ، وطلبت من مؤسسة رعاية الأطفال إرسال مارى للالتقاء بها شخصيًا . وسألتهم إن كان من الممكن تركها لعدة أشهر فى ضيافة (دار الترحيب) ، لحين اتخاذ القرار النهائى بشأنها .

بعد أيام تقدمت سيدة رقيقة إلى مكتبى ، وهى تصطحب فتاة صغيرة ، شاحبة الوجه ، هزيلة الجسم ، تحمل فى

يدها حقيبة يد صغيرة ، حمراء اللون . رحبت بهما فى بشاشة ، ولكن الصغيرة وقفت فى صبر ، حتى خلعت السيدة معطفها وقبعتها . لم تحاول أن تستكشف المكان ولو بلمحة خاطفة ، ولم ترفع بصرها عن الأرض ، حتى إذا انتهت السيدة، قادتها بلطف لتجلس .

• إنها هكذا .. لاتتحرك إلا إذا دفعتها .. ولا تتكلم أبدًا .

• وماذا يمكنك أن تخبرينى عنها ، غير ذلك ؟

• نحن لا نعرف عنها أى شىء ، فلقد فُقدت أوراقها منذ فترة . وطوال هذه السنوات كانت منطوية على نفسها ، ولا تُكلم أحدًا . ثم إنها لاتفعل أى شىء إلا إذا دفعها أحد لذلك . ولم نلاحظ أن لها أية اهتمامات من أى نوع ، أو لأى شىء .

كانت مارى فى تلك اللحظة ساكتة تمامًا ، وقد أمسكت بحقيبتها فوق ركبتيها ، ولاترفع بصرها . ولم يكن يبدو عليها أنها تعرف مايدور حولها .. وأخيرًا نهضت مندوبة مؤسسة رعاية الأطفال وهى تقول : « لو حدث وصادفتك المتاعب ، فأرجو الاتصال بنا » . فأكدت لها أنه لن يحدث ما يستدعى ذلك .

عند الشروق كانت تجلس قرب النافذة ، تراقب الغزلان والحيوانات البرية في المروج .

كانت تلك هى البداية ، ولم أتركها فى مؤسسة (دار الترحيب) ، وإنما اصطحبتها إلى منزلى الريفى خارج المدينة ، لتكون على سجيتها ، وتستكشف الأشياء من حولها . وخلال الأسابيع التالية ، كنا نعامل مارى ونتحدث إليها وكأنها تستطيع الكلام .. وكان لدينا بعض القطط الصغيرة فى جرن المزرعة ، فبدأت تضحك وهى تلعب معها . وتركتها تفعل ما تريد ، وتأتى وتذهب كما تشاء ، ولكنها فى البداية كانت تحمل حقيبتها الحمراء الصغيرة أينما ذهبت ، فهى كل ما تمتلكه من حطام الدنيا . وتعلمت كيف تتأرجح تحت شجرة السِنْديان Oak الكبيرة . كانت تجرى عبر المروج ، ولم تعد تخشى البقر أو كلاب المزرعة . وأصبحت شغوفًا بالزهور البرية ، وتجمع منها باقة كل يوم . ولكنها كانت دائمًا تشعر بالقلق ، من أن تنقل بعيدًا عنا ، وربما كان ذلك سبب عدم انتظام نومها . وكثيرًا ما وجدتها جالسة قرب النافذة عند شروق الشمس وهى صامتة تراقب الغزلان والحيوانات البرية . ولكنها أخذت تسترد حيوية الطفولة ونشاطها .

ثم بدأت تتكلم باقتضاب ، لأنه كان هناك أشياء تريدها ، وبعد فترة قليلة أصبحنا نتبادل الحديث ، لأكتشف عذوبة

صوتها ، ورقة تعبيراتها ، وجموح فضولها ، وحسن ذكائها . ومرت أشهر أخرى جميلة ، حين قررت مع زوجى أن الوقت قد حان كى تلتحق مارى بإحدى المدارس . وكان المدرس عطوفًا للغاية ، حين وافق على ألا يرغمها على تعلم القراءة والكتابة فورًا . وأخذت مارى تراقب الأطفال الآخرين ، ثم أخذت من نفسها تفعل مايفعلونه وتتعلم مثلهم .

كانت قد مرت ستة أشهر كاملة ، لم يحدث فيها ما يثير الشك . ومع ذلك فقد اصطحبتها إلى طبيب نفسى Psychiatrist لإجراء فحص شامل ، ثم قال « إنها طبية تمامًا ـ عادية جدًا . ولكن يبدو أنها أصيبت بصدمة عاطفية ، وافتقدت الحب والحنان منذ صغرها . مما جعلها « تفقد نفسها » ـ إن صح التعبير ـ أو أنها لاتثق بنفسها . وهى تحاول الآن أن تجد نفسها ، وأن تبنى شخصيتها ، وأن تجد لها مكانًا تحت الشمس . ولكن عليها أولاً أن (تعثر) على كيانها » .

مرت عدة سنوات أخرى ، واستردت مارى صحتها ومرحها ، وتقدمت فى دراستها ، وبدأت شخصيتها فى التبلور والظهور . عندما قررت مع زوجى أن نتبناها رسميًا ، ولكن ثبت أن القوانين تمنع ذلك لكبر سننا ، وعدم

استطاعتنا تقديم الرعاية الكاملة لمارى فى فترة مراهقة الشباب . وعلى ذلك قررنا التخلى عنها لمن يتبناها ويعتنى بها فى مستقبل حياتها . ولم أكن أستطيع أن أتركها لترحل بعيدًا ، ولكن فى المدينة المجاورة فقط .

حاولت إقناع مارى بالفكرة على مراحل ، وأن يكون لها أب وأم وربما أخوات وإخوة لتعيش حياة طبيعية . ثم أننا سوف نكون بالنسبة لها جَدّ وجَدّه ، وقريبين منها ولن نتخلى عنها أبدًا . وقد رفضت الفكرة تمامًا وأخذت تبكى بشدة ، ومع الوقت بدأت تتفهم الأمور ، وقبلت ذلك بعد أن تعرفت على الزوجين الأصغر سنًا منا ـ واللذين رغبا فى تبنيها ـ مع طفليهما الصغيرين ، اللذين سوف يصبحان شقيقيها .

بعد اتخاذ كافة الإجراءات القانونية للتبنى وتسجيلها رسميًا بأمر المحكمة المحلية فى الولاية ، كان عليها الانتقال لتعيش مع أبويها الجديدين . وفى اليوم المحدد ، بعد أن قضت معنا آخر ليلة فى رعايتنا ، لاحظت بعض الدموع المتلألئة بين أهدابها السوداء ، وهى تجمع أشياءها الصغيرة فى حقيبتها . وقد تجاهلت هذه الدموع الحزينة ، وتصرفت وكأنى لا أراها ، حتى لا أنفطر بالبكاء لفراقها .

وأردت أن يكون الوداع رقيقًا مرحًا مفعمًا بالبسمات ، خاصة وأننا سوف نتلاقى كثيرًا .

خلال السنوات التالية ، انخفضت زيارتها لنا كثيرًا ، وقد أسعدنا ذلك ، لأن هذا يعنى أنها وجدت لها أسرة فى النهاية . وكان أبواها يأتيان للزيارة بين الحين والآخر ، وأكدا أنها طبيعية ، وإن كان الأمر لم يكن هينًا تمامًا . كانت تقضى أوقاتًا فى اللعب فى حديقة منزل أبويها فى المدينة ، ولم تكن تهتم كثيرًا بدروسها مما أقلقهما . فلقد كانا يريدان أن يلحقاها بالجامعة ، وهو أمر يقتضى بذل الكثير من الجهد والعمل الجاد .

فى تلك الفترة تألق جمالها ، واكتملت شخصيتها ، ونما قوامها ، وأصبحت رشيقة ذات سحر كبير وعيون جذابة ، وأعتقد أنها كانت فى نهاية المرحلة الثانوية ، حينما بدأت تلفت نظر يوناثان Jonathan ، وهو شاب ناضج وذكى يهوى العلوم والرياضيات . ولقد شعرت بالقلق مع والديها ، وتوسلت إليهما أن لا يدعاها تتعلق به ، فقد كانت صغيرة جدًا ، وهو لم ينه دراسته بعد ، ولا أريد لها أن تتألم .

تصرف الأبوان بحكمة وهدوء ، وحرصا على ألا يتقابلا

كثيرًا . وكانت مارى نفسها مشغولة جدًا فى دراستها ، وسافرت مع أسرتها فى إجازة خلال الصيف . وفى العام التالى التحقت مارى بإحدى الكليات ، وأصبح لديها الكثير من الزملاء والصديقات . وأخيرًا لم يعد هناك مبرر للشعور بالقلق .

مرت أعوام أخرى ، وتخرجت مارى فى جامعتها والتحقت بوظيفة . كما تخرج يوناثان أيضًا من جامعته ، وبدأ يستعد للدراسات العليا ، وحصل على عدة منح دراسية نظرًا لتفوقه . وكان على الشابين أن يقررا مصيرهما فيما بينهما ، لذلك قمت بزيارة إلى منزل أسرتها . وقلت لها بوضوح إنه هناك مشكلة فى أمر زواجها من يوناثان ، فهل ستقبلها أسرته ؟ لم يكن أحد منا قد أخبر يوناثان أو أسرته بحقيقة تبنيها ، ولايعرفون سوى شخصيتها الآن ، وعليها هى أن تفعل ذلك فى الوقت المناسب . ومهما كانت النتائج ، فأرجو أن لا تتألم كثيرًا فهذه هى طبيعة الحياة، وتمنيت لها السعادة .

قبيل عيد الميلاد بقليل ، وفى إحدى أمسيات الشتاء الباردة ، كان الجليد يغطى المزرعة ، وكنت أجلس أمام

المدفأة أستمع إلـى سيمفونية للمؤلف الألمانى يوناتـان برامز Brahms ، حينمـا قدمـا لزيـارتى ، وقـد تشـابكت أيديهما ، وتوردت خدودهمـا مـن البرد ، وقـال يوناتـان إنهمـا قررا الـزواج . وأخذنــا الحديـث لوقـت طويـل ، وأهداها يوناتان خاتمًا بمناسبة عيد الميلاد .

سافرت بعد ذلك إلـى الخـارج لبضعـة أشـهر ، ولكنـى عدت فى الوقت المناسب لحضتور حفل زفاف مارى . كان ذلك من بعد ظهر يوم حار فى شهر يونيو ، وذهبنـا إلى الكنيسة الصغيرة التى امتـلأت فـى هـدوء . وعزفـت موسيقى الزفـاف ، فنهضنـا جميعًا ، وتقدمـت وصيفـات العروس الأربع فى رشاقة ، ومن ورائهن ظهرت مـارى فى ردائها الأبيض تحمل باقة من الزهور ، وقد وضعت يدها على ذراع أبيها . وبدا وجهها مشرقًا يشـع بـالفرح والجمال . بينما وقف يوناتان مع صديقه ينتظر .

انهمرت الدموع من عينى ، كما لم تنهمر طوال حيـاتى ، لم تكن دموعًا عاطفية ، ولكنها كانت دموع الفـرح والسعادة والشكر لله . لقد كانت يد الله رحيمة بمارى وبى وبكـل من عرف مارى طوال حياتها ، حتى أوصلها ـ بما يشبه المعجزة ـ إلى ما هى فيه من تألق ونجاح . وطافت بمخيلتى



زرتها فى مسكن أسرتها ، ورجوتها ألا تتألم إن رفضتها أسرة خطيبها .

بسرعة ، وجه تلك الطفلة المسكينة التى نسيها الجميع ولم ينسها اللّه ، وأنا أراها اليوم وقد تغيرت بفضل الحب والحنان والرعاية والثقة وفضل اللّه أولاً وأخيرًا ، فلم أكن وحدى أستطيع أفعل كل ذلك .

وجاءت اللمسة الأخيرة فى ذلك اليوم الذى لا ينسى ، حينما تقدمت منى أم يوناتان وأبوه ، وهما يشدان على يدى ، والدموع تملأ عيوننا كالأطفال « .. إننا نعتز بضم مارى إلى أسرتنا . ونحن نحبها حقيقة من كل قلوبنا . لقد عرفت مارى أخيرًا من تكون فى عالم اللّه ، وكذلك نحن جميعًا ! »



بتصرف مختصر عن المصدر :

McCall's Magazine , An Article by pearl Buck , Dated Dec . 1965 .

230 Park Avenue , New york , N.y. 10017 , U.S.A.

عندما تحرر من أسر عواطفه ..

[بقلم : ميسيل فورستر]

وقائع هذه الأحداث تجرى فى المرحلة الأخيرة للحرب العالمية الثانية فى خريف عام 1944 ، وذلك بعد نزول قوات الحلفاء على شاطئ نورماندى Normandy الفرنسى فى 4يونيو 1944 . ونزول قوات أخرى للحلفاء فى جنوب فرنسا فى 15 أغسطس 1944 ، وتحرير باريس من القوات الألمانية النازية فى 24 أغسطس من نفس العام .

ثم بدأت قوات الحلفاء فى التقدم لتحرير دول أوروبا من الاحتلال النازى ، ثم الهجوم على الأراضى الألمانية وإسقاط نظام الحكم النازى والرايخ الثالث الألمانى الذى يرأسه أدولف هتلر .

وقد أصدر الجنرال دويت إيزنهار Eisenhower ، القائد الأعلى لقوات الحلفاء والأمريكى الجنسية ، أمرًا إلى الجيش الحادى والعشرين ـ البريطانى والكندى ـ بقيادة الفيلد مارشال مونتجومرى Montgomery ، بالتوجه نحو الشمال الأوروبى إلى لوبيك وهامبورج ، وانطلاقًا من نقطة النزول على ساحل نورماندى الفرنسى قرب ميناء شاربورج .

كما أصدر أمرًا للجيش السادس بقيادة الجنرال ديفرز Devers ـ الأمريكى ـ بالتوجه نحو شمال فرنسا ثم ميونخ Munich فى جنوب ألمانيا والجيش الثانى عشر بقيادة الجنرال عمر برادلى Bradley باقتحام منتصف ألمانيا عند مدينة فيزبادن . والجيش التاسع الأمريكى بقيادة الجنرال سيمبسون Simpson بالاندفاع نحو ماجديبورج فى شمال ألمانيا ثم العاصمة برلين . والجيش الثالث الأمريكى بقيادة الجنرال جورج باتون Patton نحو منتصف ألمانيا وتجاوزها إلى براج عاصمة التشيك . والجيش الأول الأمريكى نحو قلب ألمانيا ، ثم برلين مباشرة .

فى ذلك الوقت جرت معارك رهيبة ويائسة فى بلجيكا وهولندا وفرنسا وبولندا وروسيا وغيرها ، وكانت الجيوش الألمانية تتقهقر متراجعة نحو الأراضى الألمانية . ثم بدأت تدافع عن كيان الدولة الألمانية نفسه ، معركة حياة أو موت حقيقية . وكانت أوامر هتلر الصارمة إلى قادته ، لا تراجع ولا مناورات عسكرية أو تحركات استراتيجية ، ولا استسلام على الإطلاق . أى القتال حتى الموت . ولكن الأمريكيين لا يعرفون القتال ، وعندما تقابلهم مشكلة ، فإنهم يزيلونها تمامًا من الوجود .

★ ★ ★

فى ذلك الوقت العصيب ، وفى أواخر شهر يوليو 1944 ، تلقى الجنرال فريدريك فون دكستر Friedrich Von Dexter ، أوامر جديدة من القيادة الألمانية العليا ، عندما كان فى إجازة قصيرة ـ من الجبهة الشرقية الروسية ـ فى منزله الريفى فى جنوب ألمانيا قرب الغابة السوداء .

كانت زوجته آلويز Aloise تراقبه بقلق عن كثب ، وهو يطالع الأوامر العسكرية . بينما كانت هناك مجموعة من السيارات العسكرية والحرس فى انتظاره بحديقة المنزل . ورفع الجنرال دكستر بصره عن الأوراق ، وقال لزوجته بابتسامة هادئة « ليس لدينا مزيد من الوقت ، دعينا نتنزه قليلا فى الخارج ، فقد يكون هذا آخر لقاء لنا ! »

انطلقا خارج حديقة المنزل ، نحو الطرق الفرعية للغابة القريبة . وسألته ألويز وهى تحاول أن تخفى انفعالها : « ماذا تعنى هذه الأوامر يا عزيزى ؟ » ، فقال الجنرال : « إنها أوامر مباشرة من الفوهرر ـ أى هتلر الزعيم ـ يعيننى بموجبها قائدًا لقوات المشاة الميكانيكية فى بلجيكا وهولندا . لوقف زحف قوات الحلفاء حتى الرجل الأخير . فقالت زوجته « إنه إذن أمر ميئوس منه تمامًا ! »

كان الموقف يدعو إلى اليأس بالفعل ، ولكن الجنرال أخذ يبين لها ـ أنه كجندى فى الجيش الألمانى ـ عليه أن يطيع الأوامر ، وأن يحارب من أجل بلاده . خاصة وأنه إذا سقطت بلجيكا وهولندا ، تصبح الأراضى الألمانية ذاتها فى متناول المدافع المعادية للحلفاء ، ثم قال لها : « .. فى بعض الحالات يغدو الدفاع الثابت عقيمًا ، ولابد من المناورة والتحرك السريع . كما أنه إذا كانت أسلحة العدو متفوقة على معداتنا ، فالمقاومة قد تتحول إلى مذبحة . ولكن لابد من المقاومة فى جميع الأحوال ، وفى أقسى الظروف ، فقد تنهار خطط العدو فى أية لحظة ، وقد يطرأ موقف جديد يمكن استغلاله ! »

لم تقتنع ألويز تمامًا بما قاله لها زوجها ، ولم تفهم وجود موقف حربى يستدعى التضحية بآلاف النفوس ، ولكنها لم تصرح بذلك ، وسألت زوجها : «وأنت يا عزيزى ، هل فكرت فيما سوف تفعله ؟ » . ورد الجنرال باقتضاب : «لقد تسلمت أوامرى وكفى ! » . تبينت ألويز ما فى صوته الجاف من قلق ويأس ولم ترد .

أخذا يطرقان ممرات الغابة فى صمت ، تحت أشعة

الشمس المتوارية . وكانت هى فى الستين وهو فى الثالثة والستين ، رجلاً عسكريًا قاسيًا ، ومن العسير أن تحبه امرأة . وازدادت قسوته بعد مقتل ابنه الوحيد الضابط فى الحرب . وبرغم ذلك نمت المودة والحب لزوجته ، كما تنمو الزهور البرية وسط الصخور .

قال لها ، وهو ينظر إلى الأمام : « هل تعرفين يا عزيزتى ، أن هناك قانونًا للرهائن ؟ Law of Hostages » . وردت زوجته دون أن تنظر إليه : « أجل ، أعرف ذلك ! » . لم يكن هناك مسئول فى ألمانيا النازية يمكنه أن يتجاهل هذا القانون ، فإذا تهرب أى شخص عن تنفيذ نص الأوامر ، فإن أسرته بالكامل سوف تدفع الثمن ، فضلاً عن شخصه هو . وهذا يعنى أن الضابط الذى لاينفذ الأوامر ـ مهما كانت رتبته ـ يحكم على نفسه وعلى أسرته فى نفس اللحظة بالإعدام .

قال الجنرال مسترسلاً وهو يبتسم بحنان : « إنك كل من بقى لى فى هذا العالم ، يا عزيزتى » . فأمسكت بأصابع يديه ، ولم تقل شيئًا ، ولكنها كانت تعرف أنها سوف تصبح « رهينة » فى منزلها وتحت الحراسة والمراقبة الدائمة طوال فترة وجود زوجها فى موقعه الجديد .

وابتسم الجنرال ساخرًا وهو يقول : « .. لقد جعلوا من البريجادير ـ عميد ـ فراى Frey معاونًا لى كما جاء فى الأوامر ، وهو من حرس الفوهرر ولايعرف شيئًا ! لقد جاءوا به ليذكرنى بواجباتى على الدوام ! »

كانا قد عادا إلى المنزل ، بعد هذه الجولة السريعة فى الغابة . ولم يكن هناك شىء يمكن أن يقال ، وفى وداع سريع قبل الجنرال جبين زوجته ، وانطلق نحو سيارته ، وسارت القافلة العسكرية نحو مقر قيادته الجديد فى بلجيكا وهولندا ، حيث توجه أولاً إلى هاسيلت Hasselt شمال شرق العاصمة البلجيكية بروكسيل Brussels . وهناك التقى بمساعد رئيس أركان القوات الألمانية فى بلجيكا ، البريجادير بوسيه Busse ، وأيضًا بمعاونه العسكرى البريجادير فراى .

كان الموقف العسكرى يزداد سوءًا كل يوم ، خاصة عندما فشلت القوات الألمانية المدرعة ، والقاذفات الألمانية فى القضاء على قوات الحلفاء التى نزلت على شواطئ نورماندى . وأخذت الإمدادات تتدفق على الشاطئ الفرنسى طوال شهرى يونيو ويوليو 1944 ، ثم بدأت قوات الحلفاء فى التحرك بقوة لاحتلال مزيد من الأراضى الفرنسية . ودارت

معارك رهيبة فى فرنسا حتى سقطت باريس فى 24 أغسطس . بينما اندفع الجيش الحادى والعشرين نحو الشمال فى فرنسا المحتلة ، مما أدى إلى تراجع القوات الألمانية فى شمال فرنسا نحو الحدود البلجيكية . ثم أخذت المعارك تدور فى منطقة الفلاندرز Flanders ، على الحدود الغربية البلجيكية مع فرنسا ، والمطلة على القنال الإنجليزى . وأخذ الجنرال دكستر فى دفع قواته الميكانيكية ، وبالتعاون مع قوات البانزر المدرعة ، فى صد هجمات الحلفاء ، ووقف زحفهم من قطاع إلى قطاع .

ولم يهدأ الجنرال دكستر فى مكان ، وكان يخوض المعارك وينفذ الخطط التى وضعها على رأسه جنوده . وقد أصيب أكثر من مرة ، ولكنه لم يكن يبالى بما يحدث له . وعندما سقطت بروكسيل فى أيدى الحلفاء فى 3 سبتمبر 1944 ، نقل مقر قيادته داخل هولندا قرب الحدود الألمانية . وفى 17 سبتمبر جرت معركة أرنهيم Arnhem فى شرق هولندا ، والتى استمرت أسبوعًا ، حصدت فيها قوات الجنرال دكستر الآلاف من جنود المظلات والقوات الخاصة البريطانية . وأوقف زحف الجيش الحادى والعشرين البريطانى نحو الشمال ، وخاصة ميناء هامبورج الألمانى ، وكافة الموانى الألمانية المطلة على بحر الشمال .

وفى يوم عاد الجنرال دكستر إلى مقر قيادته فى شرق هولندا ، ليجد البريجادير فراى وقد وقف ليحييه ويقول له : « .. أود أن أهنئك أيها الجنرال » . فتعجب دكستر من قوله ، خاصة وأنه لم يحدث ما يستوجب التهنئة طوال الأسابيع الماضية ، ولكن البريجادير قدم له علبة معدنية وهو يقول : « .. إنه وسام صليب الفرسان Knight`s Cross الأكبر للصليب الحديدى Iron Cross الألمانى . وهو وسام لم يحصل عليه الكثيرون ، ولكنك تستحقه أكثر من أى شخص آخر »

سأله الجنرال « وكيف وصل إلى هنا ؟ » . فرد فراى « لقد ألقت به طائرة هذا الصباح فى علبة معدنية ! » . فسأله الجنرال بحزم : « وهل هناك شىء آخر فى العلبة ؟ » . فقال فراى : « أوامر خاصة لى من القيادة العليا ! » . وقال الجنرال بنفاد صبر : «وماذا لى أنا ؟» ومد البريجادير يده برسالة ، فعرف الجنرال على الفور خط زوجته . ثم توجه الجنرال بالسؤال إلى مساعد رئيس أركانه البريجادير بوسيه وسأله : « هل هناك أوامر من القيادة الميدانية ؟ » فقال بوسيه : « مجرد أوامر شفهية يا سيدى عن انخفاض معدل الذخيرة فى المجموعة 507 مدفعية ، وكذلك انخفاض

الضمادات والمسكنات فى المستشفى الميدانى .. و ... » فقاطعه الجنرال : « أعلم ذلك ، فقد صادفتهم فى طريقى » .

كان هناك قرار من المجلس العسكرى الميدانى ، بإعدام جنديين أهملا فى واجباتهما بسبب الإرهاق الشديد . وكان على الجنرال أن يوقعه حتى يمكن التنفيذ ، ولكنه أرجأ ذلك لوقت آخر . فقد أشفق على الجنديين الصغيرين ، وليس من سلطاته العفو عنهما . وهنا قال فراى : « أتمنى أن تكون البارونة فى حالة جيدة ! » وأدرك الجنرال معنى كلماته ، بما فيها من تهديد مبطن . فهذا الضابط السياسى قد تملكه جنون الحزب النازى الألمانى ، ولايهمه حياة جنديين ، وحتى الآلاف من جنود وضباط الجيش . وود الجنرال أن يسحب مسدسه ويقضى على ذلك المجنون ، ولكنه تمالك غضبه وقال بهدوء : «سأستريح فى غرفتى قليلاً» .

أخذ الجنرال دكستر يقرأ رسالة زوجته ألويز ، كانت فى الحقيقة رسالة وداع ، وتمنت ألا تزيد رسالتها هذه من آلامه ، فهى لم تقصد ذلك « .. لن أكون على قيد الحياة عند تسلمك هذه الرسالة . فقد اكتشفت منذ فترة أنى مصابة بالسرطان ، والذى اشتد على فى الأيام الأخيرة ، ولم أعد أستطيع المقاومة . وقد أعطانى الدكتور مورينفيتز Mohrenwitz

بعض الأدوية لتسكين الآلام والنوم ، وذلك لمواجهة الأيام العصيبة هذه .. وسوف أتناول كل هذه الحبوب كجرعة واحدة ، بعد إرسال هذا الخطاب . لذلك أقول لك وداعًا . لقد كنت على الدوام نعم الزوج ، وأحمد الله على أنه رزقنى بزوج أحبه . وستكون أفكارى الأخيرة كلها معك هذه الليلة ! »

قرأ الجنرال الرسالة بكل الأسى ، وشعر بفقد زوجته العزيزة ، التى شاركته حلو الحياة ومرها . ثم أخذ يفكر فى ابنه الذى مات فى ريعان شبابه ، وفى الضباط والجنود الذين ينتظرون مصيرهم المحتوم . وهم فى الحقيقة شباب لم يتجاوز معظمهم الثامنة عشرة ، غير مدربين وغير مؤهلين لخوض حرب بهذه القسوة والعنف . ثم إن الموقف العسكرى نفسه يدعو لليأس ، فقد استسلمت القوات الألمانية فى إيطاليا فى 29 أبريل 1944 . وقوات الحلفاء تنتظر لدخول الأراضى الألمانية نفسها ، بعد إزالة « العوائق » على الطريقة الأمريكية . وسويت مدن ألمانية كثيرة بالأرض ، من خلال الغارات المكثفة بالمئات طوال اليوم ، وبقنابل « ناسفات الربوع » الضخمة ، فماذا بقى من ألمانيا سوى هؤلاء الشباب الذين سوف يعيدون بناءها مرة أخرى ، واتخذ الجنرال قرارًا .

خرج من غرفته وهو يحمل مسدسه فى يده نحو السرداب ثم الردهة الرئيسية . وأمر البريجادير فراى ألا يتحرك وإلا قتله ، ثم أمر البريجادير بوسيه بالاتصال تليفونيًا بالجنرال فوسيل Fussel فى الحال . وقال فراى بصوت حاد وهو يرتجف من الانفعال : « إنك ستستسلم ! أليس كذلك ؟ » فأومأ الجنرال بالإيجاب ، وأكد له أن زوجته قد ماتت . فصرخ فراى : « وماذا عن زوجتى وأولادى ؟ » . ومد يده نحو مسدسه ، فعاجله الجنرال بطلقتين .

فى مساء نفس اليوم طرق أربعة رجال من قوات العاصفة النازية المنزل الريفى للجنرال ، حيث استقبلتهم زوجته ألويز ، ثم اصطحبوها فى سيارة سوداء إلى مكان مجهول حيث أعدمت بالرصاص . وبرت ألويز بوعدها لزوجها ، فقد كانت أفكارها الأخيرة مع دكستر !

بتصرف مختصر عن المصدر :

Phoebus Magazine , An Article by Cecil Forester , Dated March 1954 . Titled « The Hostage » .

169 Wardour Street , London , W 1 A - 2 jx , U.K.

أخرج الجنرال دكستر مسدسه ، وعاجل البريجادير فراى برصاصتين ، وأنهى تحكمه كضابط سياسى فى مسار الحرب .

اندفاع بين اليأس والرجاء ..

[بقلم : جين وياد إينس]

كان ذلك منذ أكثر من ثلاثين عامًا ، عندما كنت طالبًا فى الأكاديمية البحرية الأمريكية فى أنا بوليس بولاية ميريلاند . كنت أجلس فى غرفتى الكئيبة أستذكر محاضراتى فى ليلة ممطرة من ليالى شهر أكتوبر ، وفى نفس الوقت كنت أفكر فى جين Jean . قابلتها فى شهر أغسطس الماضى وأعجبت بها حينما كنت فى شيكاجو Chicago وافترقنا بعد أيام . حيث تركتها بين الشباب الراغبين فى الزواج هناك ، بينما أعيش هنا فى عالم من القوانين والأنظمة الصارمة . وبدا لى العالم فوق الاحتمال .

ولكن كان هناك بارقة أمل ، إذ عرفت أن جين سوف تحضر فى شهر نوفمبر التالى ، لمشاهدة المباراة السنوية فى كرة القدم ـ الأمريكية ـ بين الأكاديمية البحرية ، والأكاديمية الحربية فى ويست بوينت بولاية نيويورك . وقد شاء عمى وزوجته أن يدعوانا ـ نحن الاثنين ـ

إلى قضاء عطلة نهاية الأسبوع معهما فى نيويورك . وعلىّ إذن أن أجعل من هذه العطلة حدثًا لن تنساه مدى حياتها .

بين الجد والهزل ، وبين اليأس والرجاء ، وباندفاع الشباب الذى لا يدرك حجم العواقب ، أخذت أكتب رسالة إلى مدير فندق والدورف ـ أستوريا Waldorf - Astoria فى مدينة نيويورك . وشرحت موضوع المباراة ، والفتاة التى أعجبت بها ، وانعدام فرصتى لاستمالتها ، وأننى أريد أن أقضى أمسية رائعة ، تنتهى بأن أفصح لها عن رغبتى فى الاقتران بها . أخذت أصف المائدة التى أريدها التى تضيئها الشموع ، والصحاف الفضية اللامعة والعشاء الفاخر . ثم طلبت أن تعزف الأوركسترا نشيد البحرية عزفًا بطيئًا حالمًا عند منتصف الليل ، وهى اللحظة التى سأطلب يدها فيها . ورجوته أن يبلغنى « بالتكاليف » التقريبية ، حتى أستطيع أن أستعد لذلك بالمكافأة الشهرية الضئيلة التى أتقاضاها وأنا طالب فى أسطول الولايات المتحدة !

ما إن ألقيت خطابى فى صندوق البريد ، حتى شعرت بالندم على ذلك . فقد كان بحق خطابًا ينضح بالغرور والوقاحة ، فى شأن مدير أشهر وأغلى فندق فى العالم من طالب مغمور فى « دير » عسكرى ؟ لابد أن الرسالة سوف يكون مصيرها سلة المهملات !

مضى أسبوع وتبعه آخر ، وتناسيت أمر الرسالة . إذ كان على أن أبحث عن طريقة أخرى ـ خلال ثلاثة أيام فقط ـ كى أقنع جين بأن تشاركنى بقية حياتى . وفى الصباح جاءنى خطاب يحمل شعار الفندق ، وأشار المدير إلى أن طلباتى كانت محل اهتمام العاملين ، وأن رئيس الطباخين الشهير ـ الفرنسى الجنسية ـ رينيه بلاك Rene Black ، اقترح عشاءً فاخرًا يبدأ بالكافيار الأسود المستخرج من أسماك « استورجيون » Sturgeon من بحر قزوين Caspian Sea ثم شرائح من سمك البومبانو Pompano الغضة من المحيط الأطلنطى . يتبعها شرائح من صدر الدجاج مقدمة على هيئة سفينة شراعية ذات صاريين ، وتحيات بوسايدون Poseidon إله البحر . مع الحلوى الخاصة والشراب المعطر . أما تكاليف ذلك بما فيها الموسيقى والزهور ، فيقترب

من المائة دولار . وإذا لم يتوفر المبلغ فهناك ترتيب آخر بثلث هذه القيمة ، ولكن المهم أن « أنتصر فى معركتى » ، وجميع العاملين يسرهم نجاح « حفلتى الصغيرة » بأى حال .

أبهجنى الخطاب ، ولكن مدخراتى كانت تقل عن المائة دولار ، فأرسلت ردًا بحجز مائدة مع « الترتيب الآخر » الذى أشار إليه المدير بثلث القيمة . ولكننى لم أتسلم ردًا لتأكيد الحجز .

مرت الأيام بسرعة ، وجاء يوم 27 نوفمبر الموعود ، وبعد المباراة تقابلت مع جين ، وكانت جميلة ورقيقة كما قابلتها لأول مرة ، وفى القطار الذى نقلنا إلى مدينة نيويورك ، أطلعت جين على خطاب مدير الفندق ، ولكننى لم أكن واثقًا من الحجز ، ومع ذلك فقد استقر رأينا على الذهاب إلى الفندق أولاً .

دخلنا البهو الرئيسى للفندق ، حيث تقع قاعة ويدج وود Wedgwood إلى اليمين . وكان هناك حبلان من المخمل يعترضان مدخل القاعة ، وقد وقف على جانبى الحبل الأول موظفان بزيهما الرسمى . وأمام ذلك الحبل احتشد

عدد كبير من علية القوم فى ملابسهم الأنيقة ، ينتظرون موعد الدخول .

استجمعت ما تبقى من جرأتى ، ودنوت من أحد الموظفين على الباب وسألته « إذا سمحت ، أنا الطالب البحرى إينس . هل هناك حجز باسمى ؟ » . وعلى الفور رفع الموظف الحبل بحركة آلية وقال : « بالطبع » . وابتسم زميله ، وفرقع بأطراف أصابعه ، فجاء آخر من داخل القاعة ، حيث صحبنا ـ وسط دهشة الجميع ـ إلى مائدة أنيقة . وأخذ خادمان يضيئان الشموع البيضاء .

وتقول جين « لقد أخذت أتأمل المائدة بدهشة ، كان بين الشموع زهرية بيضاء Vase تضم أزهار « استيفانوتيس » Stephanotis البيضاء ، والورود الحمراء . وعندما أجلسنى النادل فى مقعدى ، لاحظت علبة أمامى ، فلما فتحتها وجدت باقة من زهور الأوركيد Orchid البيضاء الصغيرة . وكانت قائمة الطعام Menu مرسومة باليد . وفى الجانب الأيمن الأعلى منها سفينة شراعية ، والجانب الأيسر رسم لفتاة تحوم حول رأسها عصافير زرقاء . وبعد فترة قصيرة ، انحنى الخادم المكلف بالاهتمام بمائدتنا بسترته الحمراء المميزة

ليسأل باد : « هل ترغب ياسيدى فى شراب ؟ » وكان ذلك هو السؤال الوحيد الذى وجه إلينا طوال تلك الأمسية ، دون مقاطعة .

بدأ العشاء وسط لمعان الصحف الفضية ، وبريق الكريستال Crystal فى ضوء الشموع . وكان الموسيقى الشهير إيدى دوشين Eddy Duchin وأفراد فرقته يعزفون فى خلفية القاعة . وقرابة منتصف الليل ، اقترب من مائدتنا رجل أنيق بشعره الفضى وقال « أنا رينيه بلاك ، وقد جئت لأتأكد من أنكما غير ناقمين على » . وأشرق وجهى بالابتسامة ، بينما وقف باد يرحب بأشهر طاه فى العالم . وأخذنا نعرب عن شكرنا وتقديرنا للرجل الذى خطط لنا هذه الأمسية الجميلة .

تناول بلاك مقعدًا وجلس يمتعنا بنوادره عندما كان فى فرنسا ، وكيف التقى بزوجته ، وعن حفل العشاء الذى أقامه لزملائه الجنود خلال الحرب العالمية الأولى . وعندما سألناه إن كان هو الذى رسم قائمة الطعام ، تناولها بابتسامة رقيقة ، ورسم على ظهرها شكلاً لكبير الطهاة ،

وكتب تحتها بالفرنسية : « .. إذا كان الحب لا يتطلب سوى النظرات ، فما فائدة الطعام وشهرة الطاهى ؟! »

وتقول جين أيضًا « بعد أن تركنا بلاك ، نظرت إلى باد . وكنت أتساءل عن حقيقة مشاعرى نحوه ، خاصة وأننا لم نتعارف إلا منذ فترة قصيرة . وهذه هى المرة الثانية فى أفخم فندق فى العالم ، ونتبادل الحديث مع بلاك الشهير ، ونستمتع بعشاء فاخر يليق بكبار الشخصيات ، فى جو أسطورى يفوق الأحلام ، بينما كنت أخطط فى البداية لقضاء عطلة عادية مثل ملايين الأمريكيين .

انتهز الموسيقى الشهير إيدى دوشين فترة شرود جين ، وجاء إلى مائدتنا . كان رقيقًا ودودًا ، تحدث عن الفترة التى كان فيها فى البحرية خلال الحرب العالمية الثانية ، ثم مباراة البيسبول بين الأكاديميتين المتنافستين وعن الموسيقى . ثم مال نحوى هامسًا « نشيد البحرية فى منتصف الليلة تمامًا . أتمنى لك التوفيق ! » ثم نهض مبتسمًا وعاد إلى البيانو .

لحظات وجاءنى الخادم ، بأن لى مكالمة تليفونية فى الردهة . فمضيت خلفه متسائلاً عن يكون صاحب المكالمة .



عند منتصف الليل بالضبط عزفت الموسيقى نشيد البحرية ، وعندما تقدم الطالب البحرى يطلب يد فتاته .

وفى الردهـة قـابلت رئيس الخـدم الـذى قـدم لـى قـائمـة الحساب وهو يقول : « فكرنا فى أنك قـد تفضـل ألا نقدم إليك هذه على المـائدة » . كنـت متهيبًـا ، ولكنـى نظرت إلى المجموع ووجدته 33 دولارًا . وكان من الواضـح أن هذا المبلغ لا يغطى إلا جزءًا صغيرًا للغاية مـن التكلفـة الحقيقية للسهرة ، وأن هـذا الأسـلوب الرقيق فى تقديم قائمة الحساب ، كان القصد منه إنقاذى من الحرج .

قبل منتصف الليل بدقـائق خمس ، كنـا جالسين إلـى مائدتنا ، وقلبانا مفعمان بالسعادة . وجـاء الخـادم ومعـه زجاجة من الشراب ، وملأ لنـا كأسين منهـا . رفعت كأسى لجين ، وفى تلك اللحظة دوت طبول الفرقـة الموسـيقية ، والتفت إيدى دوشين وانحنى لنا . ثم استدار ورفع يده ثم أنزلها ، ودوت نغمات نشيد البحرية . ونظرت إلى جين ، وقلت لها بغصة « هل تقبليننى زوجًا لك ؟! »

وتقول جين : « تم زواجنا فى شهر يونيو التالى ، عند تخرج بلد مباشرة فى الأكاديمية البحرية . والآن ، بعد ثلاثين عامًا ، شب خلالها أطفالنا الخمسة ، وأصبح الطالب البحرى ضابطًا

كبيرًا برتبة رير ـ أدميرال Rear - Admiral فى البحرية الأمريكية . ومازلت أحتفظ ببعض هدايا الزواج ، ومن بينها نسخة فاخرة التجليد من طبعة محدودة تلقيناها من مدير الفندق هنرى ويليامز Henry Williams عن تاريخ الفندق والملوك والرؤساء الذين نزلوا ضيوفًا فيه . ولكن الكتاب لم يتضمن تلك الأمسية التى تضافرت فيها قلوب العاملين بالفندق ـ وقد امتلأت بالعطف والحب والعذوبة ـ لإسعاد شابين فى مقتبل حياتهما ، ودفعهما لمواجهة الحياة كفريق ثنائى مدى العمر .



بتصرف مختصر عن المصدر :

Gourmet Magazine , An Article Titled « Be My Valentine » , by Jean and Bud Ince , dated December 1978 .
777 Third Avenue , New york , N.y. , U.S.A.

سمع صوتها ولم يرها أبدًا !

[بقلم : جيمس هيلينْ]

كانت القيادة الألمانية النازية تخطط لغزو بريطانيا ، باسم العملية سى لايون Sea Lion ، وكانت المرحلة الأولى من هذه الخطة تقضى بضرب الموانى والمدن البريطانية ، وتحطيم كافة الدفاعات العسكرية ، خاصة فى جنوب شرق بريطانيا . وهكذا بدأت معركة بريطانيا الجوية الشرسة Battle of Britain ، التى بدأت اعتبارًا من 8 أغسطس 1940 واستمرت حتى 29 أكتوبر 1940

خلال تلك الأشهر الثلاثة ، قامت قاذفات القنابل الألمانية بدك المدن البريطانية ، بما فيها العاصمة لندن . التى استقبلت فى السادس من سبتمبر 1940 حوالى 350 قاذفة ألمانية فى غارة جوية نهارية . وقد استطاعت المقاتلات البريطانية من طراز سبيتفاير Spitfire ، إسقاط عشرات القاذفات الألمانية والمقاتلات المصاحبة لها . وذلك بمساعدة أجهزة الرادار Radar التى كانت فى بداية عملها الأول . مما أدى إلى اضطرار القيادة الألمانية إلى إلغاء خطة

الغزو البحرى لبريطانيا ، طالما أن أسطولها الجوى يشكل خطرًا كبيرًا على القوات الألمانية .

* * *

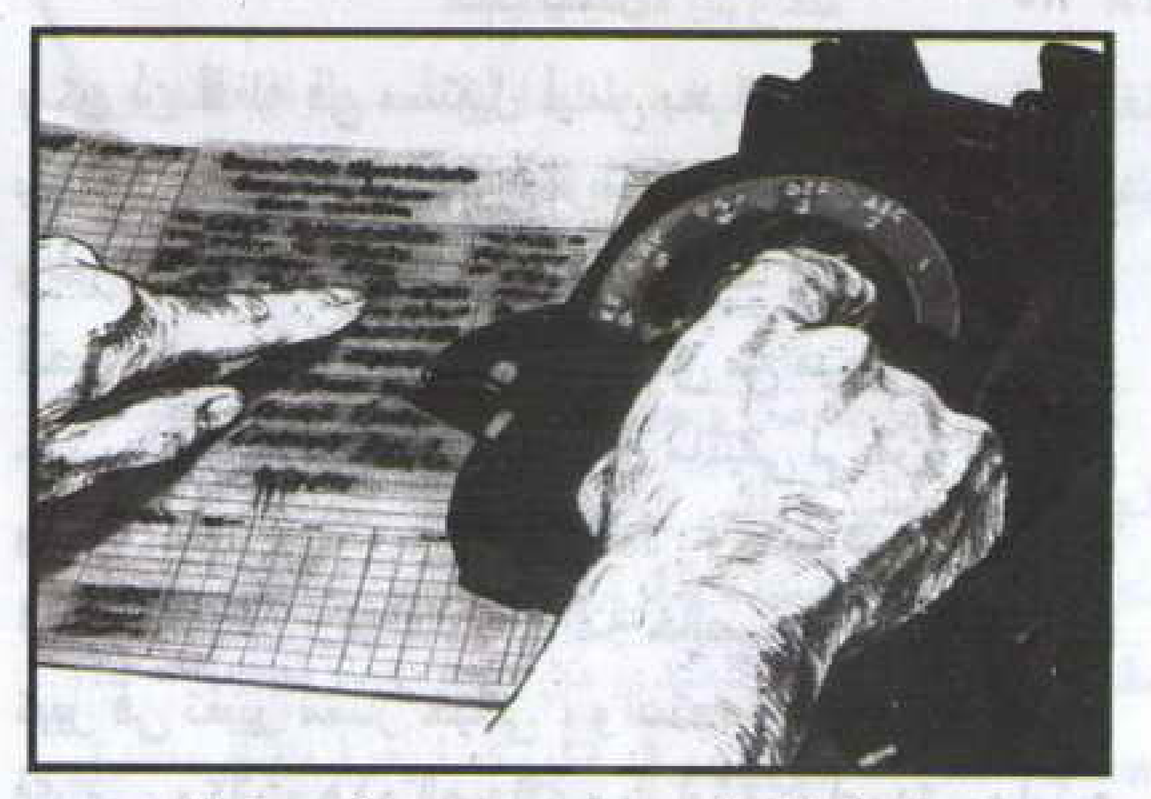
كنت طيارًا برتبة ملازم جوى ـ تعادل نقيب ـ فى السلاح الجوى البريطانى الملكى RAF . وفى الأيام الأخيرة من معركة بريطانيا ، أصيبت طائرتى المقاتلة بدفعة من رشاش مقاتلة ألمانية بعيدة المدى من طراز مسرشميت ـ 110 Messerschmitt ، فوق بحر المانش كما يعرف ، أو مضيق دوفر Strait of Dover الذى يفصل بين الشاطئ الفرنسى عند كاليه Calais ، والشاطئ البريطانى عند دوفر . وقامت القوارب السريعة لحرس السواحل بانتشالى من المياه خلال فترة وجيزة .

استغرق علاجى فترة طويلة ، حتى خرجت من المستشفى فى سبتمبر 1941 ، وأسند إلىَّ عمل مكتبى إدارى فى إحدى القواعد الجوية فى جنوب لندن . كنت أشعر بالقلق والوحدة والكآبة ، خاصة وأن حياتى العسكرية لم تكن حافلة بالأمجاد ، وأن مستقبلى كطيار حربى قد انتهى عند هذا الحد . وأخذت أفكر كثيرًا فى تغيير مسار حياتى ، وفيما

يمكن أن أفعله فى مستقبل أيامى بعد انتهاء الحرب . ولم يستقر لى قرار ، فقد كانت أفكارى وحياتى مشوشةً ومرتبكة وغير مستقرة على الإطلاق ، ومع ذلك فقد كان على أن أبحث عن مهنة أخرى Profession تتفق مع ميولى ، وتناسب حالتى الصحية الجديدة ، وتستغرق ماتبقى لى من الحياة ، وليس مجرد البحث عن عمل Job . وحدث فى تلك الفترة العصيبة ، أن ارتبطت بصداقة خالصة ، كان لها أثر كبير فى تغيير مسار حياتى ، واستعادة عزيمتى وصفاء فكرى ، وكانت هذه الصداقة من أوثق وأصدق وأمتع ما خبرته طوال حياتى .

كان ذلك بعد منتصف الليل ، عندما كنت أحاول الاتصال ـ من منزلى فى لندن ـ بأحد أصدقائى الطيارين فى أثناء عطلته . وقدرت أنه لن يعود إلى منزله إلا متأخرًا ، برغم جو الشتاء البارد والأنواء العاصفة والجليد المتساقط ، وأجواء الحرب بما فيها من القيود المفروضة على الإضاءة .

حدث تشابك فى الخطوط لعدة مرات ، وفى الاتصال الأخير وجدتنى ـ بدلاً من الاتصال بصديقى ـ أستمع إلى صوت سيدة تقول لموظفة السنترال « إن رقمى هو 8829



كنت أحاول الاتصال بصديق لى ، عندما تشابكت خطوطنا .



كونت عنها صورة من الخيال أشبه بجمال الفجر .

فى جروف بارك Grove Park ثم استطردت ردًا على استفسار الموظفة « .. إن مشكلتى أننى طلبت منك اتصالى برقم فى هامستيد Hampstead . ولكنك أوصلتنى بشخص فى تشيرتزى Chertsey . وهذا المسكين لايريد التكلم ، ويكتفى بقفل الخط عدة مرات » .

عند هذه اللحظة قررت فجأة الاشتراك فى الحديث ، وقلت على الفور « .. بل أريد أن أتكلم معك ! » . كانت نبرة صوتها تتميز بالعذوبة والتناسق والنغمة الموحدة . وتنطق الحروف بطريقة سليمة واضحة دون اعوجاج ، طبقًا لزمن كل حرف . لذلك لاتتآكل الحروف الأخيرة للكلمات عند نطقها . وقد لاحظت أن طبقة صوتها قد تعلو قليلاً ـ مع الاستمرار فى الحديث ـ ثم ينتظم إيقاعه ، بطريقة تريح الأعصاب وتؤثر فى السامع .. لم يكن صوتها فى الحقيقة يخلو من الجاذبية ، ولكنها كانت تخفى هذا الجانب الذى يهفو إليه الكثيرون ، وراء قناع من الذكاء والثقافة والتفهم والمرح .

وبدلاً من الحدة والتظاهر بالدهشة والاحتجاج لتداخل الخطوط ، واختلاط المواقف ، واجهت السيدة ماحدث بروح من التفهم والمرح وحسن التصرف ، ثم تبادلنا الاعتذارات

والتحيات والأمنيات ، وأنهينا المكالمة دون أن نتعارف . بعد دقائق طلبت رقم صديقى ثانية ، فإذا بها على الطرف الآخر من جديد ، برغم عدم تشابه الرقمين والمنطقتين . « كان النظام التليفونى القديم خلال الحرب العالمية الثانية وسنوات ما بعدها ، هو الاتصال بموظفات السنترال التابع له ، للتوصيل بخط أو كابل Cord بالرقم المطلوب فى سنترال آخر . ثم تطور بعد ذلك إلى السنترال الأوتوماتيكى الذى يعتمد على مجموعة من التروس ، ثم السنترال الرقمى Digital الحالى ، الذى يعتمد على الإليكترونيات » .

عندما بدا لنا أنه لامفر فى خطينا من التشابك أو التداخل ، تبادلنا الحديث لحوالى 20 دقيقة . وسألتنى بكياسة « .. لماذا كنت تريد الاتصال بصديقك فى هذا الوقت المتأخر من الليل ؟ » فصرحت لها بالسبب ، والذى لم أعد أذكره الآن . وسألتها بدورى عن سبب مكالمتها المتأخرة ، فقالت إن والدتها التى تقيم وحدها تشعر بالقلق عليها ، وقد وعدتها بالاتصال يوميًا فى مثل ذلك الوقت ، وامتد الحديث إلى الكتب التى نقرؤها الآن ، ثم إلى مسار الحرب الدائرة من حولنا . وأخيرًا قلت بإخلاص « .. لم أستمتع بحديث كهذا منذ

سنوات » . وردت قائلة « .. كان حديثًا ممتعًا حقًا ، ومن الأفضل التوقف الآن ، ليلة سعيدة » .

اضطرتنى ظروف الحرب أن أظل فى عملى بالقاعدة الجوية عدة أيام . وكثيرًا ما فكرت فى حديثها وعفويتها وهدوئها ، وتذكرت لهجتها المميزة ورقة صوتها .. لازمتنى موسيقى كلماتها ، وأصبحت نبرة صوتها تتردد بين جنبىَ . ودهشت للأمر ، فما حدث كان مجرد صدفة عادية تحدث دائمًا ، وقد حدثت لى مرارًا ، ولكن لم تترك مثل هذا الأثر ، فما الذى حدث ؟! وما هو الجديد ؟! وحِرْتُ فى الأمر ولم أكن أعرف الإجابة ، فهذا شىء لم أختبر سره من قبل .

عدت إلى منزلى بعد أيام ، وفى المساء لم أكد أستقر على حال ، ولا أعرف ماذا أريد ، ولا أمكننى أن أستوعب ما أقرؤه . وما إن حل منتصف الليل حتى أخذ رقم تليفونها يرتسم أمام عينى ، ولم أكن لأستطيع أن أحتمل أكثر من ذلك ، وتمنيت لو سمعت صوتها . ولكن ماذا لو حادثتنى بجفاء أو أغلقت الخط فى وجهى ؟ إننى رجل شديد الكرامة ، وعزيز الكبرياء ، وشىء مثل هذا لن يجعلنى

أتسامح مع نفسى لفترة طويلة . بعد تردد وتفكير ، طلبت متهيبًا رقم تليفونها . بعد الجرس المعهود جاء صوتها رقيقًا كما سمعته لأول مرة . وقلت فى وجل ، وأنا أشعر بغصة فى حلقى ، وبعبارات متقطعة « .. أرجو ألا أزعجك . ولكنى ترددت كثيرًا قبل أن أطلبك ! فهل من الممكن أن تسمحى لى بمواصلة حديثنا السابق ؟ »

دون أن تعرب عن موافقتها أو تحفظها ، بدأت فى الحديث عن الكتب الأدبية التى قرأتها مؤخرًا . وأعربت فى بساطة محببة عن آرائها أو نقدها لهذا الكتاب أو ذاك . وخلال دقائق كنا نتبادل الأفكار ونضحك ونمزح ، كأننا صديقان قديمان . برغم أن المسافة بين شخصين بعيدة جدًا ، برغم قربهما .

وطوال ما يقرب من الساعة ، لم يتناول حديثنا أية أسئلة أو موضوعات شخصية على الإطلاق ، وكان كل حديثنا عن الكتب الأدبية العالمية ، وكانت هى التى اختارت الموضوع . ويبدو أن عدم معرفة أحدنا بالآخر ،

وسكون الليل فى انتظار الغارات الألمانية ، كان له أثر كبير فى تقريب المسافات ، وإزالة الحواجز التى تعوق الاتصالات الأولى بين شخصين .

وطوال الأشهر التالية ، لم يحدث أن أمضيت ليلة فى لندن دون أن نتبادل الحديث ، وكنت أمضى الوقت فى التفكير فى محادثتها السابقة ، والموضوع الذى طرقناه ، وأتطلع بشغف إلى المحادثة التالية . وتوثقت « العلاقة الصوتية » بيننا ، حتى صار كل منا فى حاجة إلى الآخر . ولو حدث أن غادرت لندن إلى عملى بالقاعدة الجوية ، دون أن أتمكن من الاتصال بها ، كانت تشكو من شدة الوحدة .

كانت هى التى تختار موضوع المحادثة دائمًا ، ما بين الموسيقى والأدب والفن والعلوم والتاريخ الطبيعى وغيرها ، وأدهشنى سعة اطلاعها ، ودأبها على المعرفة الكاملة ، والثقافة الواسعة التى تتحلى بها . وكانت تنتقى دائمًا العبارات والمفردات المناسبة التى تعبر عن هذا المستوى الرفيع والمرتبة العالية التى وصلت إليها . كان لها عمل ما ،

ولكنى لم أكن أعرف فى أى مجال ، ولم أستشف من اهتماماتها وكلماتها نوعه أو مكانه .

اقترحت يومًا أن نتعارف ، خاصة وهى تسكن ضاحية جروف بارك فى جنوب شرق لندن ، وأسكن أنا فى ضاحية تشيرتزى فى جنوب غرب لندن ، ولكنها اعتذرت بلطف ، دون أن تجرح مشاعرى ، وقال « .. ربما أفسد التعارف كل شىء ! » ولم أفهم ماذا تعنى ، ولكنها احتفظت برقم تليفونى ، ووعدتنى بالتعارف بعد انتهاء الحرب . وتعاهدنا على ألا يحاول أى منا معرفة اسم الآخر بأية وسيلة ، إذ كنا نتعامل بالاسم الأول فقط دون اسم العائلة .

استمرت محادثاتنا بامتداد سنوات الحرب ، ولم يبق موضوع عام لم نتحادث فيه .. وكانت المعلومات الشخصية تكاد أن تكون مبعدة وغير مطروقة على الإطلاق . ولكنى عرفت أنها أكبر منى سنًا .. وهذا لايهم فى الواقع .. وأن ابنها الوحيد كان طيَّارًا مقاتلاً مثلى ، وأنه قتل عندما انفجرت طائرته خلال معركة بريطانيا الجوية ، وربما فى وقت

قريب من الوقت الذى أصبت فيه . وربما كنت أعرفه ضمن مئات الطيارين البريطانيين ، خاصة وأنه فى بداية حياته مثلى ، ولكنى لم أعرف اسمه الأول أو اسم العائلة . وعرفت أيضًا أنها منفصلة عن زوجها منذ مدة ، لاختلاف فى اتجاهاتهما .

كانت تتحدث عن ابنها الطيار وكأنه مازال حيًّا . وكانت تتمسك بذلك الموقف العاطفى الذى يمنحها الشعور بالانتماء والراحة النفسية ، حتى يمكنها الاستمرار فى الحياة . وقد وصفته ذات مرة بأنه كان جميلاً كالفجر ، وفى مرة أخرى قالت إنه يشبهها تمامًا . وانتهيت إلى أن كونت صورة عنها لم تتغير فى خيالى . وعندما قُلت لها إن الصورة الخيالية التى كونتها عنها جميلة فعلاً كالفجر ، ضحكت فى عذوبة وقالت « .. ما أدراك أنى جميلة ؟! »

كانت تحاول بطريقة غير مباشرة أن تساعدنى فى تجاوز محنتى ، وأن تعيد لى الثقة بنفسى ، وتشد من عزمى للاستمرار فى الحياة . وكانت لها اقتراحات جيدة ، مفعمة

بالأمل والآفاق الرحبة والمجالات الجديدة ، لفترة ما بعد الحرب . خاصة فى عالم الطيران الذى اخترته منذ البداية ليكون مهنة لى ، وأشارت ببعد نظر ، إلى عالم الطيران المدنى والنقل الجوى وعمليات التدريب والإدارة والصيانة والخدمات الأرضية والملاحة وإنشاء المطارات ونظم السفر وغيرها من المجالات المتوقع التوسع فيها بعد الحرب . ونصحتنى فى التفكير فى هذه الأمور وبحثها ودراستها ، للاختيار فيما بينها . وإن كانت قد أشارت بمرح فى إحدى المرات ، أننى أصلح كى أكون كاتبًا أو مؤلفًا ، لميولى العميقة للاطلاع فى مجالات مختلفة .

فى بعض الأحيان ، كنت أضيق بحرمانى من رؤيتها ، ولكنى التزمت بوعدى لها . وكنت أتصل بها كلما حدثت غارة ألمانية على لندن ، وكانت ترى فى ذلك شيئًا يبعث على الضحك . ولكن ظروف الحياة كانت صعبة بالفعل بسبب الحرب . ولكن لم يكن هناك ما يمنع من الاستمرار فى علاقتنا على هذا النحو المستحيل ، فيكفينى ما تمنحنى من حنان ورقة واهتمام بصوتها العذب .

تعرضت لندن لهجوم بالقنابل الطائرة من طراز V-2 الألمانية ، وعندما عدت إلى لندن بعد أيام ، لم أسمع الرنين المعهود ، وبدلاً منه كان صفير يشير إلى أن الخط مشغول أو معطل . اتصلت بالاستعلامات للحصول على العنوان المقابل لرقم التليفون ، ولكن الموظفة رفضت ذلك . وبعد محاولات مستمرة على مدى اليومين التاليين ، تقدمت موظفة لطيفة لمساعدتى متجاوزة النظام . وأخبرتنى أن المنزل فى هذا العنوان ، قد أصيب إصابة مباشرة بصاروخ V-2 منذ أيام ، ولم يعد هناك ما يمنع من إعلامى باسم صاحبة التليفون ، فقد نموت جميعًا ! فشكرتها على مساعدتها ، وتوسلت إليها ألا تبوح لى بالاسم ، وأنهيت المكالمة !

بتصرف مختصر عن كتاب :

Another Self, by James Miline. Published by Hamish Hamilton LTd, 1970. London, England.

البحث عن سيدة مجهولة !

[بقلم : جوردون ليفينجستون]

فى مساء يوم حار من أيام الصيف الماضى ، كنت فى زيارة قصيرة لابن عمى ، وتناول حديثنا مجالات مختلفة ، حينما سألنى ـ بطريقة عابرة ـ عن مدى التقدم الذى أحرزته فى عملى . وباعتبارى محاضرًا فى جامعة كولومبيا Columbia الأمريكية ، وطبيب نفسانى Psychiatrist للأطفال ، فقد أخبرته بالمؤتمر الذى حضرته عن عملية التبنى Adoption ، وما تتضمنها من بهجة أو مشكلات .

ولما استوضحنى المزيد ، أخبرته «بورشة العمل» Workshop التى رأستها ضمن أعمال المؤتمر ، لدراسة مشكلات تبنى الأطفال ، والتى تؤدى ببعضهم إلى متاعب عاطفية متفاوتة تقتضى المعالجة المتخصصة . وقلت مفسرًا : إن أحد هذه العوامل يكمن فى العبء الذى يقع على كاهل نفسية الطفل من « الهوية المزدوجة » Dual Identity . وقد زادت السرية التى تحيط بعملية التبنى من تزايد هذا العبء . ففى أربع ولايات أمريكية فقط ، من بين

خمسين ولاية ، تفرض جميع المحاكم والوكالات والمؤسسات الاجتماعية فى 46 ولاية قيودًا سرية صارمة على السجلات الرسمية . ويواجه الشخص المتبنى ـ الذى يبحث عن حقيقة جذوره وهويته ـ بهذه الحواجز من السرية ، مما يؤدى به إلى الاعتقاد بأن هناك شيئًا مخجلاً حول هويته الأصلية .

وهنا سألنى ابن عمى « .. ولكن ما هى الضرورة لأن يعرفوا أنهم مُتبنَون أصلاً ؟ » . فأوضحت له أنه من الصعب الاحتفاظ بسر مهما طال الوقت ، ولو عرف الطفل ذلك من مصادر أخرى غير والديه ـ اللذين تبنياه ـ فمن المحتمل أن يتعرض لمشكلات نفسية . ودعمت رأيى ببعض الحالات المسجلة فى العلاج النفسى . وأكدت له أننى بصفتى أب لأربعة أطفال ، فإننى بذلت كل جهد رقيق لذكر الحقيقة كاملة لابنى الأصغر مايكل Michael ، الذى تبنيته منذ فترة . قال ابن عمى « ولكن ماذا سوف تفعل إذا حاول مايكل يومًا ما أن يعرف أبويه الحقيقيين ؟ هل سوف تشعر بالغيرة ؟ » فأكدت له أن رغبة ابنى المتبنى فى معرفة جذوره لن تتعارض مع الحب والاحترام المتبادل بيننا . ولكن ابن عمى هز رأسه غير مصدق وقال متسائلاً :

«ولكن ماذا سوف تفعله أنت إذا افترضنا أنك متبنى ؟» . فأجبته صادقًا وفى الحال : « سوف أحاول أن أبحث عن والدى الأصليين ! » . فنظر ابن عمى بعيدًا وفكر قليلاً وقال « حسنًا ، عليك أن تبدأ البحث ! » . فى البداية اعتقدت أنه يمزح ، ولكن عندما تأكدت من تقاطيع وجهه وهو ينظر إلى أنه جاد فى كلماته ، شعرت وكأن شخصًا وجه لى ضربة مباغتة فى وجهى . وحاولت تمالك نفسى ، وأنا أتنفس بعمق . وقال ابن عمى : « هل أنت بخير ؟ » أجبت باقتضاب : « بالطبع ! » ، ولكنى فى الواقع كنت أبعد عن هذه الحالة بكثير . لقد شعرت بأنى فقدت فى لحظة خاطفة جزءًا مهمًا من شخصيتى ، وأن كل ما اعتبرته صحيحًا فى حياتى انهار فجأة .

فإذا لم أكن من جذور إسكتلندية ـ إيرلندية ، كما كنت أعتقد ، فما هى جذورى إذن ؟ وإذا كان قد جرى لى تبنٍ وأنا طفل صغير ، فهل لى الآن أخوة وأخوات ؟ ثم من هم والداى الحقيقيان ؟ فالمشكلات النظرية التى كنت أناقشها حول إعداد المتبنى لمعرفة الحقيقة ، وأن هناك حاجة لتحديد الهوية البايولوجية « الحيوية » عن

طريق الجينات ، لم تعد مجرد نظريات أو اقتراحات ، ولكنها أصبحت مشكلات حقيقية ، تخصنى أنا شخصيًا !

عندما سألت والدى ـ الذى تبنانى ـ فى مساء ذلك اليوم ، حيث إن الوالدة قد توفيت منذ عام ، بدا متعبًا ومسحوقًا وهو يقول : « إننا لم نقل لك . لقد تخوفنا أن تطلب يومًا لقاء والديك الحقيقيين ، ونفقدك ! » . فوضعت يدى على ذراعه وقلت له بصدق « .. إنك ووالدتى بالفعل أبواى الحقيقيان اللذان لم أعرف غيرهما . وقد احببتمانى ورعيتمانى طوال سنوات حتى تخرجى فى الجامعة . وإننى أحبكما كثيرًا ، ولاشىء يغير هذا الحب والامتنان والعرفان بالجميل . فقال بابتسامة أضاءت وجهه : « إذا كنت تشعر بأنك تريد البحث ، فسوف أساعدك بقدرما أمكننى . »

كانت شهادة ميلادى تشير إلى أنى مولود فى مدينة ممفيس Memphis بولاية تينسى ، فى 30 يونيو عام 1938 . ويعتقد والدى أن تاريخ الميلاد المذكور صحيح تمامًا ، ولكنه لا يتذكر الهيئة الاجتماعية التى قامت بإجراءات التبنى فى ممفيس . وقال إنه ووالدتى كانا يعيشان فى ذلك الوقت فى مدينة ديترويت Detroit ، وإنه ذهب مع صديق له اسمه مارتن Martin إلى ممفيس ، والذى لديه أيضًا ابن مُتَبنَى . كان خيطًا رفيعًا ، ولكن بعد العديد من

المكالمات التليفونية ، تتبعت مارتن إلى محل إقامته الجديد فى ولاية كاليفورنيا ، والذى أخبرنى باسم الجمعية التى أجرت عملية التبنى فى تينسى .

لم يكن هناك اسم مسجل لهذه الجمعية فى دليل التليفون . لذلك كتبت رسالة إدارة الشئون الاجتماعية الحكومية فى ولاية تينسى Tennessee ، أطلب منهم السماح لى بالاطلاع على سجلات أسماء الأطفال لهذه الجمعية . وكان الرد بأن قانون الولاية الخاص بالتبنى ، يمنع فتح الملفات التى تم خلالها عملية التبنى بصفة قانونية ورسمية ونهائية . ولابد لذلك من أمر من المحكمة التى أجازت عملية التبنى المطلوب الاطلاع عليها .

حصلت على إجازة قصيرة ، رتبت خلالها أن يقوم بعض الزملاء برعاية مرضاى فى مستشفى الجامعة . ثم توجهت إلى مطار لوريل Laurel فى ولاية ميريلاند ، حيث تقف طائرتى الخاصة من طراز سيسنا Cessna . ثم طرت فى اتجاه ممفيس ، على بعد 1280 كيلومترًا فى اتجاه الجنوب الغربى . وبينما كنت أراقب المزارع والغابات والمدن من تحتى ، نظرت إلى الأفق وتطلعت بأمل للفرصة الضئيلة

المتاحة لرؤية والدتى . فكيف يمكن البحث عن سيدة مجهولة تمامًا فى هذه البلاد الواسعة ، ولست أعرف ملامحها أو حتى اسمها .

لم أجد أية سجلات للجمعية التى قامت بالتبنى فى الإدارة المحلية لمدينة ممفيس . فذهبت إلى إحدى دور الصحف المحلية ، وطلبت الاطلاع على الأعداد السابقة ، واكتشفت أن المحكمة قد أمرت بغلق وتصفية الجمعية فى خريف 1950 ، وأن مديرها قد سجن للتربح « من بيع » الأطفال لحسابه الخاص .

فى اليوم التالى ، استعنت بأحد المحامين المحليين ، لمساعدتى فى البحث . مر يوم آخر ثم قال لى تليفونيًا : «لقد عثرت على اسمك فى مكتب الإحصاءات المهمة» . ثم استطرد قائلًا اسمك المسجل عند ميلادك هو دونالد ألفريد كارديل . أما تفاصيل المعلومات الخاصة بالتبنى ، فهى موجودة بدار محكمة ممفيس . وسوف نحاول الاطلاع عليها غدًا » . وقضيت بقية اليوم فى سعادة غامرة ، فقد قطعنا حتى الآن شوطًا يعتد به .

فى صباح اليوم التالى اصطحبت المحامى إلى دار المحكمة ،

وبضربة من الحظ ، كان المحامى يعرف الموظف المسئول عن سجلات التبنى ، والذى أعطانا الملف للاطلاع عليه . كانت وثيقة التبنى صادرة من محكمة شيلبى Shelby فى الولاية ، وبتاريخ 17 أغسطس 1940 . واسم والدتى آن سيمونز كارديل Ann Cardell ولاشىء عن والدى . وتشير الوثيقة إلى أن الطفل صغير جدًا ولا يستطيع أن يخدم نفسه ، وأن والده هجره . وشعرت بالارتباك لكونى غير مرغوب فيه ، برغم أن هذا حدث منذ سنوات طويلة . وعندما طلبت نسخة مصورة من الوثيقة ، أدرك الموظف الأمر ، وسحب الملف بسرعة ، وقال : إن للمحكمة وحدها أن تعطينى هذا الحق .

ولكننا كنا قد تسلحنا باسم والدتى ، وقام المحامى بجولة واسعة فى المستشفيات ، وأخيرًا عثر على سجلات دخول والدتى للمستشفى للولادة . وكانت مدرسة من ولاية ميسيسبى Mississippi ، وفى الحال توجهت إلى مدينة جاكسون Jackson ـ عاصمة هذه الولاية ـ بطائرتى ، ثم توجهت إلى إدارة التعليم . وبعد يوم شاق لم نجد اسم آن كارديل فى قوائم المدرسين . وكنت على وشك مغادرة المكان ، لولا أن لفت انتباهى ملف بعنوان « تسجيلات أكاديمية »

وعثرت على اسم والدتى فى هذا الملف ، حيث ذكر فى الأوراق المصاحبة ، أنها حصلت على الماجيستير Master Degree فى التعليم عام 1952 ، مع اسم الجامعة التى منحتها هذه الدرجة .

اتصلت بالكلية تليفونيًا ، ولكن الموظف هناك قال لى إن أوراق السيدة كارديل ، قد حولت منذ عشر سنوات إلى مدينة ناتشيز Natchez . طرت عصر نفس اليوم إلى ناتشيز ، ولكن دليل التليفونات فى المطار كان يحوى ستة أسماء عائلية باسم كارديل Cardell . وبعد محاولتين ، كنت خلالهما أشرح هدفى فى البحث عن سيدة اسمها آن كارديل ، رد علىّ فى المرة الثالثة شخص يدعى ألفريد كارديل . فلما سألته عن اسم آن كارديل ، قال إنها عمته ، ولكنها تعيش الآن فى سافانا Savannah ، وأعطانى عنوانها .

كانت الساعة تشير إلى السابعة مساءً ، عندما هبطت فى مطار سافانا مرهقًا للغاية بعد يوم شاق من مكان لآخر . ووضعت طائرتى فى مكانها ثم طلبت الرقم بالتليفون . دق الجرس مرتين ، ثم رفعت السماعة « هالو »



كان اللقاء الأول بين الابن والأم بعد 37 سنة ، حيث حدثته عن نفسها وعن والده .

● هل أنت السيدة آن كارديل ؟

● نعم .

● مس كارديل ، إن اسمى جوردون ليفنجستون . إننى لا أعرف ما يمكننى أن أقوله فى ذلك الوقت والموقف . ولكن يمكننى أن أقول لك ببساطة إننى ابنك ! وأرجو أن تسمحى لى بلقائك .

كان هناك فترة صمت بيننا ، حينما قالت :

● نعم ، فإن هناك الكثير من الأشياء التى أود الحديث فيها معك .

عند وصولى إلى العنوان ، وجدت شقة فى مبنى عتيق ، فى شارع مزروع بالأشجار . وطرقت الباب ، فانفتح عن سيدة جذابة جميلة فى الستينيات من عمرها . ووقفت حائرًا إلى أن قالت « تفضل بالدخول » فلقد كنت غريبًا عنها .

تناولنا القهوة ، ولاحظت ارتباكًا فى صوتها ، ورعشة فى يديها ، فأرجأت أى حديث إلى أن تألفنى . وبعد فترة سألتها بلطف إن كان فى إمكانها أن تحكى لى عن نفسها

وحياتها ، كذلك عن والدى . وبدأت تتكلم فى صوت منخفض ولكنه واضح . لقد ولدت عام 1912 فى مزرعة عائلتها فى ميسيسبى وكان أبواها ثريين ، حيث أرسلاها للدراسة فى إحدى الكليات الجامعية . ثم عملت بالتدريس .

وعندما جاء الحديث عن ميلادى ، كان من الواضح أنها بالفعل ذكريات مؤلمة . فقد كانت تنتمى إلى مجتمع منغلق من المزارعين فى الجنوب الأمريكى . والذى ينظر إلى الحمل دون زواج على أنه عمل غير أخلاقى لا يمكن قبوله ، ولايمكن لأية عائلة أن تتحمله . وكان ذلك فى السنة الأولى التى عملت بها بالتدريس ، وقد حدث ماحدث مع رجل أحبته طوال حياتها ، ويبلغ من العمر 28 سنة . وعندما قالت له : عن حملها ، حتى يتزوجا ويعطى الطفل اسمه ، قال : إنه لايفكر فى الزواج ، ثم اختفى تمامًا ولم تره على الإطلاق . ذهبت بعد ذلك إلى ممفيس للولادة بعد إجازة طويلة ، ولم يكن أحد من أسرتها يعرف شيئًا . كانت تشعر بالذعر ، وأنها تمشى فى الفيافى والقفار تحمل طفلاً صغيرًا ، ولاتعرف إلى أين تسير . وكان عليها فى النهاية أن تجرى عملية التبنى ، حتى لاتفقد مستقبلها ومكانتها الاجتماعية .

ثم قالت : «لقد قرأت منذ ثلاث سنوات أن والدك مات بالسرطان» . ثم أخذت تبكى ، وتلوم ضعفها وجبنها عن مواجهة الحياة ، حتى إنها فقدت طفلها الوحيد ، ولم تتزوج أبدًا ، وعاشت معذبة ومهمومة بابنها . وبعينين مغموستين فى الدموع نظرت إليها ، وغصة كبيرة تملأ حلقى . وكان علىّ أن أفكر فى المتاعب التى واجهتها حتى أحكم عليها وأسامحها . وأخذت هى الخطوة الأولى حينما فتحت ذراعيها . ولأول مرة منذ 37 سنة ألمس حنان أمى .



بتصرف مختصر عن المصدر :

Psychology Today Magazine ,by Gordon Livngston , Dated Sep . 1976 .

One Park Avenue . New york , N.y. 10016 , U.S.A.

أثر طيب لا يمحى..

[بقلم : جاك فيتشر]

طلبت المعلمة السيدة روث هانسون Ruth Hanson ، من الطالب الصغير تونى يوركو Tony Yorko التقدم إلى السبورة السوداء ، لحل المسألة الحسابية طبقًا لخطواتها أمام زملائه فى الفصل . كان تونى صبيًا ذكيًا يحب كثيرًا معلمته ، وكانت السيدة روث طويلة القامة وحسنة الهندام وتعلو وجهها ابتسامة محببة .

تمكن تونى بسرعة من كتابة الإجابة الصحيحة ، وفى أثناء عودته إلى مكانه نظر إلى معلمته ، فلاحظ علامات الاستياء ، بدلاً من الابتسامة الصافية . لحمر وجهه خجلاً ، ولازمه هذا الإحساس عندما أخذت المعلمة تنفض الغبار من شعره وقميصه ، فاعتذر لها عن ذلك . ولكن وجهه ازداد احمرارًا وهى تقول له : إن فى وسعه معرفة سبب استيائها ، وعليه أن يفكر قليلاً فى الأمر . وأخذ تونى يفكر فيما ارتكبه من أخطاء ، ويجد حلاً لهذه المسألة ، فقد كان أهم شىء فى حياته هو العمل على إرضائها ، وعدم إثارة سخطها عليه .

بعد انتهاء الدراسة ، توجه تونى لتوزيع الصحف نظير بضع سنتات . وأخذ يتعثر فى مشيته ويخطو بحذر أو يركض كما يفعل كل يوم ، فقد اضطر إلى ارتداء حذاء شقيقه الأكبر ، حتى يتم إصلاح حذائه المهترئ ، بدلاً من أن يتغيب عن المدرسة . ولقد قامت والدته بحشو قطعتين كبيرتين من القطن فى مقدمة الحذاءين ، حتى يصبح مناسبًا لحجم قدميه . ولكنها اضطرت فى النهاية إلى ربط الحذاء من فوق قدميه بخيط متين ، حتى لاينفلت فى أثناء سيره ، وعلى أمل ألا يلاحظ ذلك أحد من زملائه . وحذرته أمه من الركض والمشى السريع واللعب ، حتى يتم إصلاح حذائه . وفى الطريق أخذ تونى ينظر إلى صورته المنعكسة فى واجهات المحلات لعله يرى ما يشير إلى سبب استياء معلمته ، فإذا كانت ثيابه متواضعة فهذا ليس ذنبه . وفى النهاية توجه إلى محل إصلاح الأحذية ، وأخذ حذاءه من الرجل العجوز ، الذى قال له إنه سوف يستوفى أجر الإصلاح من والدته .



فى طريقه إلى منزله ، توجه تونى إلى المحل وأخذ حذاءه بعد إصلاحه .

كان شتاء عام 1932 قارس البرد ، وكان على المهاجرين البولنديين الذين يعيشون فى شمال شرق ولاية مينيسوتا Minnesota أن يتقوا هذا البرد بالقليل مما لديهم . وكان والد تونى ، يعمل ليلاً فى مصنع للحديد ، فلما حلت الكارثة الاقتصادية عام 1929 بالولايات المتحدة فقد عمله . واضطرت والدته إلى العمل فى لصق أوراق الجدران نظير دولار واحد لكل غرفة .

وكانت الأسرة الفقيرة تضم أربعة أولاد ، يعيشون فى بيت خشبى حافل بالجرذان ، مما كان يبعث الرعب فى

نفس تونى . فهل تكون المعلمة قد علمت بوجود تلك الجرذان ؟

تحير تونى كثيرًا فى معرفة سبب استياء معلمته ، وأخذ يتقلب فى فراشه بقلق حتى غاب فى نومه . والحق أن تونى كان تلميذًا مجتهدًا ، فى العاشرة من عمره ، دمث الأخلاق ومؤدب للغاية ، وهو ما حببه إلى زملائه ومعلميه . وكانت درجاته جيدة ، بالنسبة إلى التلاميذ الذين لم يكونوا يعرفون الإنجليزية قبل دخولهم المدرسة . وقد عزم والداه على الكفاح لتعليم أولادهم الأربعة بأى حال من الأحوال ، حتى يقفوا على أقدامهم ، ويشقوا طريقهم فى الحياة ، معتمدين على أنفسهم .

فى الصباح قرر تونى أن يسأل معلمته عن الخطأ الذى ارتكبه بالأمس ، إذ إن عليها أن تصرح له بذلك طالما أنه لم يعرف . غير أن عزمه تلاشى فى المدرسة ، ولم يجد لديه الجرأة الكافية كى يسألها ، فربما أدى ذلك إلى المزيد من الاستياء . عند الظهيرة ، كان يرتدى معطفه الصوفى الرث ، كى يذهب إلى منزله لتناول الغذاء ثم العودة خلال ساعة ، حينما فوجئ بالسيدة هانسون بجانبه . وقالت له : بحسم « تعال معى يا تونى » ، فتبعها الصبى الصغير صامتًا ،

وقد استبد به القلق والخوف ، من أن تقوده إلى مكتب المدير لما فعله بالأمس . ولكن المعلمة كانت فى طريقها إلى خارج المدرسة .

توجهت السيدة هانسون إلى الشارع الرئيسى ، وتونى يسير خلفها ، ثم انعطفت نحو محل للسلع المستعملة . وأمرته بالجلوس حين دخلا ، حيث سألت أحد الموظفين « هل لديك حذاء مستعمل يصلح لهذا الصبى ؟ » . وبعد فترة من البحث لم يجد ما يناسبه ، فتأسفت المعلمة ولكنها طلبت شراء زوجين من الجوارب الصوفية الطويلة . وحمل تونى اللفافة بابتهاج ، فالآن لديه جوارب غير مثقوبة يمكن أن تدفئ قدميه فى ليالى الشتاء .

بعد مغادرتهما المحل ، اتجه تونى نحو المدرسة ، إلا أن السيدة هانسون سارت فى الاتجاه الآخر ، فهرع وراءها للحاق بها . ودخلا محلاً آخر للأحذية الجديدة ، وأشارت السيدة إلى حذاء أسود مناسب لقدم تونى . ودهش الصبى حينما شاهد المعلمة وهى تدفع الثمن ، ولم يكن قد رأى مالاً كثيرًا من قبل . ثم اصطحبته المعلمة إلى أحد المطاعم حيث طلبت بعض الشطائر لتلميذها تونى وكوبًا من القهوة لها .

حاول تونى ـ وهو يتناول طعامه ـ أن يجد الكلمات المناسبة التى يمكن أن يعبر بها عن شكره ، ولكن معلمته لم تفسح له المجال ، وطلبت منه أن ينتهى من شطائره حتى يتمكنا من العودة إلى المدرسة . وشاهد تونى ابتسامتها العذبة ترتسم على وجهها الرقيق وهى تنظر إليه وتحثه على الإسراع . ولكنه أمسك بأصابعها بعد أن غادرا المطعم ، وقال لها بصدق « لن أنساك أبدًا ! »

أغلقت المدرسة فى العام التالى ، وتفرق التلاميذ والأساتذة ، والتحق تونى بمدرسة أخرى وتمكن من إنهاء المرحلة الثانوية . ثم استدعى للخدمة العسكرية ، وحصل على وسام الخدمة الممتازة نظرًا لأعماله . وقد أتاح له ذلك الحصول على منحة دراسية فى جامعة الولاية ، بتوصية من قيادته ، وتخرج منها مهندسًا . والتحق بإحدى الشركات الكبرى فى مجال التصميمات الميكانيكية ، ومع الوقت صار من كبار موظفيها . وخلال ذلك كان قد تزوج ، وأصبح والدًا لأربعة أبناء .

أصيب تونى عام 1970 بنوبة قلبية حادة ، اضطر فيها إلى دخول المستشفى . وخلال فترة نقاهته ، كان يجلس على فراشه فى الظلام ، يسترجع ذكرياته القديمة ، وشريط

حياته بالكامل . وكان من أهم ما استعاده من كنوز تلك
الذكرى العطرة لمعلمته الجميلة ، ذات الابتسامة العذبة ،
التى أهدته جوربين من الصوف الدافئ ، وحذاءً جديدًا .
وتذكر أيضًا ذلك العهد الذى قطعه على نفسه وهو صبى
صغير ، حينما أمسك بأطراف أصابعها . وفكر إن كان يمكنه
أن يفى بهذا العهد ، بعد كل هذه السنوات ، وكيف يمكن
أن يجد معلمته القديمة الآن ؟

فى أغسطس 1984 ، كتب تونى يوركو خطابًا إلى نادى
المعلمين فى مدينة مينابوليس Minneapolis ، يسأل عن
عنوانها . بعد بضعة أيام تلقى اتصالاً تليفونيًا من ابنة السيدة
هانسون ، أخبرته أن والديها قد تقاعدا عن العمل ، وانتقلا
إلى جنوب ولاية كاليفورنيا ، وأعطته رقم تليفونها .

اتصل تونى على الفور بمعلمته القديمة ، وعرف صوتها
الرقيق ، وقال لها بصوت مضطرب «سيدتى ، أنا تلميذك
الصغير تونى يوركو » ،وأخبرها بالسبب الذى جعله يتصل بها .
فقالت له : إن ذلك الأمر كان منذ مدة طويلة ، وإنها لم تعد
تذكر ملامحه . فأكد لها تونى أن هذا الأمر لم يعد يهم
الآن ، ولكن عليه أن يفى بوعده بألا ينساها أبدًا . فقد

كان لها فضل كبير فى تكوينه ونجاحه فى الحياة ، وإدخال
البهجة على قلبه وهو صغير . وطلب منها أن تسمح له
برؤيتها فى كاليفورنيا ، حاولت السيدة أن تثنيه للتكلفة
الكبيرة ، ولكنها وافقت بعد تردد لإصراره على ذلك .

فى صباح يوم 28 سبتمبر 1984 ، استقل تونى يوركو
الطائرة إلى مدينة سان دييجو San Diego بولاية كاليفورنيا ،
المطلة على المحيط الباسفيكى ، فى أقصى الغرب الأمريكى ،
ليقابل معلمته الرائعة القديمة . كان فى الثانية والستين ،
وجدًا لثلاثة أحفاد ، ولكن الذكريات الجميلة ، أضاءت داخله ،
وأحس بنشاط وحيوية لم يعهدهما من قبل . وعند وصوله ،
استراح فى الفندق قليلاً ، ثم استأجر سيارة ، واشترى باقة
من الزهور ،وذهب إلى منزل السيد هانسون وزوجته المعلمة .

استقبلته السيدة روث عند باب المنزل ، وقد ارتدت أجمل
ثيابها ، وعيناها تشعان بالسعادة والامتنان ، ولم تفقد شيئًا
كثيرًا من جمالها وبسمتها العذبة برغم تقدمها فى السن .
وعانقها تونى بفرحة صادقة ، وقدم إليها باقة الزهور ،
وبعض الهدايا الشخصية الثمينة ، التى كان أعدها خصيصًا
لهذه المناسبة . ثم دعاهما إلى أحد المطاعم فى المدينة .

أخذ تونى يسترجع مع السيدة هانسون ، ما حدث له منذ أن كان فى المدرسة ، حتى أصبح كبير المهندسين فى شركة عملاقة . وقال لها « كثيرًا ما كنت أفكر فيك ، وفى الجوارب الصوفية والحذاء الجديد الذى اشتريته لى وأنا صغير ! » . وعلى مدى ثلاثة أيام ، قضى تونى أوقاتًا مبهجة مع الزوجين السعيدين . وفيما كانوا فى طريق العودة على ساحل المحيط عند الغروب قالت له السيدة روث : «كيف يمكننى أن أشكرك على كل ما فعلته من أجلى ؟ فشد تونى على أصابعها ـ كما فعل وهو صغير ـ وقال : « لاتفكرى فى ذلك ، فأنا المدين لك بالشكر » .

بعد أسابيع تلقى المهندس تونى يوركو خطابًا من السيدة روث هانسون ، تقول فيها « .. كثير من تلاميذى السابقين ، أظهروا تقديرهم لما فعلته فى سبيلهم . إلا أن ما فعلته أنت من أجلى ، كان له أبلغ الأثر فى حياتى » .

بتصرف مختصر عن المصدر :

Woman's Day Magazine, An Article by Jack Fitcher, Dated Nov. 1984. 1515 Broadway.
New york, N.y. 10036, U.S.A.



وفّى تونى بعهده ، وزار معلمته بعد سنوات طويلة ، ولم ينسها أبدا .

عاصفة من رحمة القدر ..

[بقلم : هوارد شاد]

حدثت هذه الواقعة فى إحدى القرى الصغيرة بولاية مبين Maine الأمريكية ، فى أقصى الشمال الشرقى والمطلة على المحيط الأطلنطى . كان عيد الميلاد يقترب بسرعة ، وهو عيد يجتمع فيه الرجال والنساء فى كنائسهم المحلية ، فى منتصف ليلة 25 ديسمبر ، كى يتذكروا معجزة خلق الإنسان على الأرض .

كانت هناك مشكلة تواجه راعى Pastor الكنيسة الصغيرة فى القرية . فقد هبت عاصفة جامحة من عواصف شهر ديسمبر ، ضربت الوادى وأصابت الكنيسة ببعض التلف . كما أدت الأمطار الغزيرة إلى تساقط جزء كبير من الطلاء ، خلف مذبح الكنيسة Altar فى المنتصف تمامًا .

وكان القسيس الصغير وزوجته ، شغوفين بكنيستهما . وكانا يعتقدان أنهما يمكنهما إعادة رونقها القديم ببعض النقش والكثير من الإيمان . إذ إن الكنيسة ـ على صغرها ـ لها تاريخ حافل وموغل فى القدم ، ولها ماضٍ مزدهر منذ

الأيام الأولى لاستعمار القارة الأمريكية الشمالية . فكم من رجال مشهورين ركعوا أمام مذبحها ـ يقابل المحراب فى الجامع ـ وكم من عروس عقد قرانها فى بهوها ، وكم من الفقراء والأغنياء عبدوا ربهم فيها ، وبنوها بناءً رائعًا جميلاً . ولكن تلك الأيام قد ولت ، وأخذ الزمن يؤثر على المبنى .

انطلق القسيس وزوجته يعملان بنشاط ، لإصلاح ما أفسدته العاصفة . واستطاعا أن يعيدا إليها بعض النظام ، ولكنها لاتبدو فى أبهى زينتها ورونقها بهذه الأحجار البادية فى واجهة المصلين ، بعد أن زال عنها الأسمنت والطلاء . وأخذت زوجة القسيس تبكى وهى تقول « .. ما الذى يمكن أن نفعله ، ولم يبق إلا يومان فقط على عيد الميلاد ؟ » . ولكن زوجها كان يتمتم بكلمات غير مفهومة ، واثقًا من إيجاد حل للمشكلة فى اللحظة الأخيرة . وإن كان هو نفسه لايعرف ماذا سوف يفعل .

فى عصر ذلك اليوم ذهب الزوجان المرهقان ، إلى مزاد خصص دخله لمساعدة إحدى الجمعيات الخيرية لرعاية الأطفال . وفى أثناء المزاد فتح المثمن صندوقًا عتيقًا من

الخشب المزخرف برقائق النحاس ، وأخرج مفرشًا لطاولة الطعام ، مطرزًا بخيوط ذهبية وعاجية . كان المفرش تحفة رائعة ، يبلغ طوله حوالى 4,5 متر ، ولكن زمنه قد انقضى هو الآخر . وبالفعل لم يتقدم لشرائه سوى بعض العطاءات الصغيرة .

وخطرت للقسيس فكرة كالإلهام ، وفى الحال اشترى الغطاء العاجى ، مقابل ستة دولارات ونصف الدولار ، وسط دهشة زوجته واحتجاجها ، فأنى لهما بمائدة طعام تمتد بطول المفرش ؟ ثم من الذى يحتاج فى زمننا هذا إلى مثل هذه النقوش المذهبة لغطاء قديم ؟

ولكن القسيس ، علق المفرش ، خلف المذبح ، ليخفى فجوة الطلاء والأسمنت المنزوع فور عودته إلى الكنيسة . وكان جمال المفرش ، وروعة نقوشه الذهبية والعاجية ، يعكسان بريقًا هادئًا مريحًا فى بهو الكنيسة ، ويشد الأنظار عند الدخول ، فى مقابل الممر الفاصل بين المقاعد .

أحس راعى الكنيسة بانتصار عظيم ، وشكر الله على هدايته وتوفيقه . وفى اليوم التالى أخذ يعد الترتيبات النهائية لاحتفالات عيد الميلاد ، ويزيل الجليد المتراكم حول المدخل .

حينما شاهد عند الظهيرة ، سيدة ترتعد من البرد ، وهى تنتظر على محطة الأوتوبيس . فدعاها إلى الدفء داخل الكنيسة ، قائلًا لها : « .. إن الأوتوبيس لن يمر قبل أربعين دقيقة ! » .

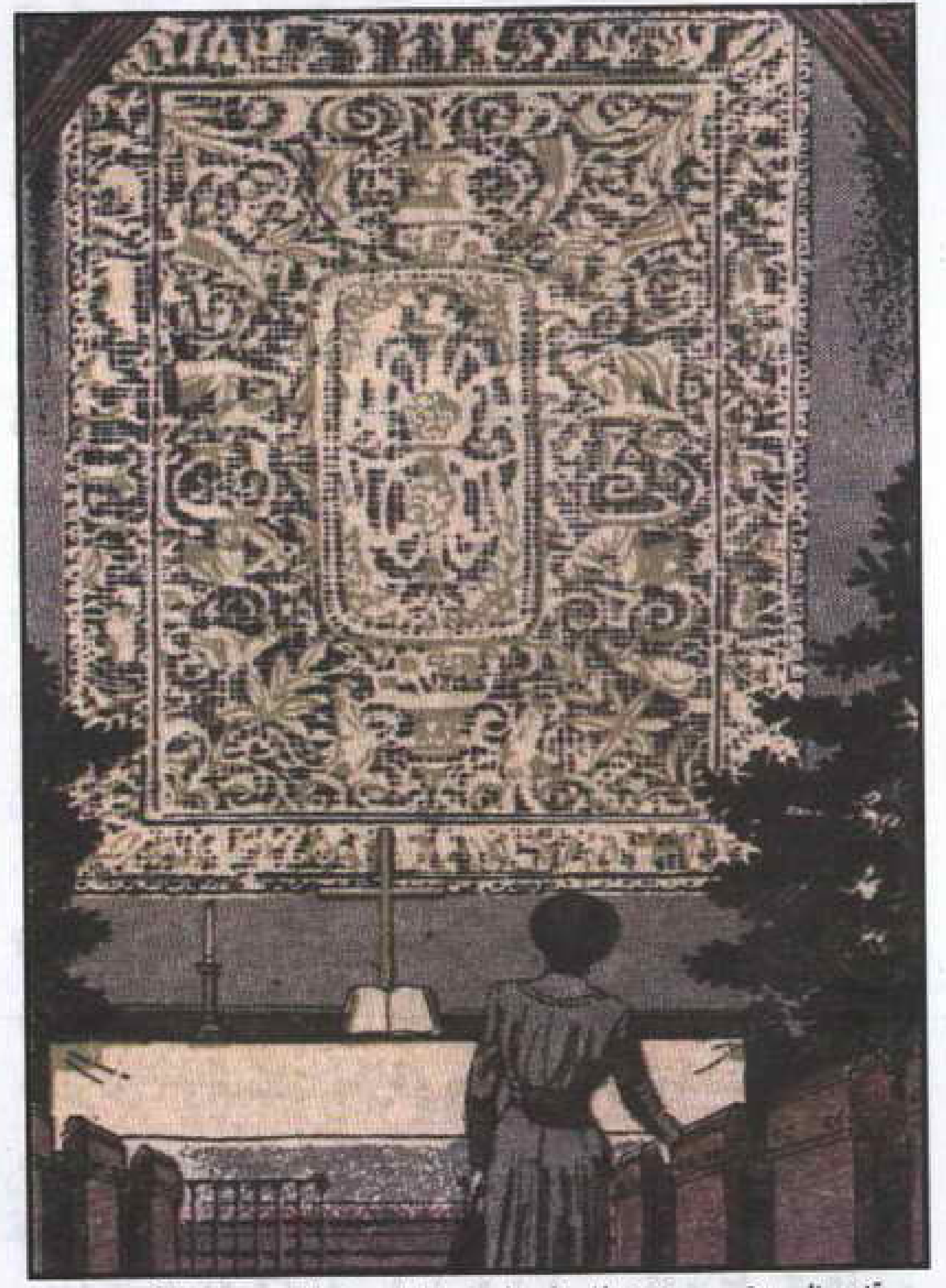
أخبرته السيدة أنها جاءت من المدينة القريبة إلى هذه القرية ، بناءً على استدعاء من إحدى الأسر الثرية ، للعمل كمربية للأطفال . ولكن رب الأسرة قال لها إنها لا تصلح لهذا العمل ، فقد كانت من لاجئى الحرب ، وكانت لغتها الإنجليزية قليلة ، ولا تتحدث إلا الألمانية . جلست السيدة على إحدى الأرائك لتستريح ، ثم خفضت رأسها وأخذت تصلى . وحين رفعتها كان القسيس يحاول أن يعدل من وضع الغطاء حتى يخفى تمامًا الأحجار من خلفه .

وقفت السيدة ، وقد ارتسمت الدهشة على ملامحها وهى تنظر إلى المفرش . فابتسم الراعى ، وأخذ يروى لها قصة شرائه ، ولكنها لم تكن منصتة لما يقول . وتقدمت نحو المفرش ، وأمسكت بطرفه بين أصابعها وقالت : « .. إنه مفرشى ! لقد كنت أستخدمه فى الحفلات ! » . ورفعت طرف المفرش ، وأشارت للقسيس المذهول ، إلى الحروف الأولى من اسمها منقوشًا على طرف المفرش . وقالت تشرح الأمر :

« لقد أوصى زوجى بصنع هذا المفرش خصيصًا لى فى بروكسيل عاصمة بلجيكا . ولايمكن أن يكون له مثيل آخر ! » .

أخذا يتحدثان بعد ذلك باهتمام . وروت له السيدة أنها من النمسا ، وكانت تعيش فى قصر بضاحية فى العاصمة فينا ، مع زوجها المهندس رجل الأعمال الثرى . ولكنهما عارضا بشدة ، خطة العملية أنشلوس Anschluss ، والتى تقضى بالاتحاد السياسى بين النمسا وألمانيا النازية . فلما دخلت القوات الألمانية النمسا 12 مارس 1938 ، تعرضا لمضايقات كثيرة من رجال الجيستابو Gestapo ـ البوليس السرى النازى ـ لذلك قررًا الهجرة ، بعد أن أصبحت حياتهما فى خطر ، ولم يكن لهما أولاد .

ولأنهما كانا تحت المراقبة ، فقد نصحهما بعض الأصدقاء أن يسافر كل منهما على انفراد . واستقلت القطار إلى سويسرا ، على أن يلحق بها زوجها بعد أيام عبر الحدود . ثم يتجهان بعد ذلك إلى الولايات المتحدة ، عن طريق أسبانيا أو البرتجال . ولكنها لم تره بعد ذلك قط . وسمعت حينما كانت فى سويسرا ، أنه اعتقل ومات فى أحد



وقفت السيدة مندهشة تتطلع إلى المفرش المعلق وراء المذبح داخل الكنيسة .

معسكرات الاعتقال . ولذلك قررت الفرار إلى الولايات المتحدة بعيدًا عن أجواء الحرب فى أوروبا . وقالت وقد امتلأت عيناها بالدموع « لقد أخطأت حينما سافرت بدونه إلى سويسرا . ولعل تلك السنوات من التشرد ، وهى العقوبة التى أستحقها على خطئى ! » .

أخذ راعى الكنيسة يواسيها فى محنتها ، وألح عليها كثيرًا أن تأخذ المفرش معها ، ولكنها رفضت . ولما جاء الأوتوبيس ، مضت فى طريقها إلى المدينة .

فى مساء اليوم التالى ، تدفق أهالى المنطقة على الكنيسة الصغيرة . وكان واضحًا أن المفرش الذهبى أضفى على الاحتفال جمالاً أخاذًا ، إذ إنه مُعدّ كى يبدو فى أجمل صورة عند إضاءة الشموع . وعند انتهاء الصلاة ، وقف القسيس على الباب ، يتبادل الحديث الباسم مع الجميع .

لكن رجلاً خجولاً فى منتصف العمر ، ومن مهاجرى الحرب ، ويفتتح محلاً لإصلاح الساعات فى قرية مجاورة ضمن المنطقة ، أخذ ينظر إلى المفرش فى دهشة . ثم قال لراعى الكنيسة : « إنه شىء غريب حقًا . فمنذ عدة

سنوات قليلة ، كنت أنا وزوجتى ـ رحمها الله ـ نملك مثل هذا المفرش . وكانت زوجتى تستخدمه عند الولائم والحفلات ، أو عندما يزورنا الأسقف Bishop لتناول العشاء معنا » .

انتاب الذهول راعى الكنيسة ، وأخذ يروى للرجل فى انفعال شديد قصة تلك السيدة التى شاهدها عند ظهيرة الأمس . أمسك الرجل بذراع القسيس وهو يقول فى دهشة : « .. هل يمكن أن يكون ذلك صحيحًا ؟! ألا تزال حية ترزق ؟! » .

برغم الوقت المتأخر ، فقد استطاع الاثنان الوصول إلى منزل العائلة الثرية التى كانت قد استدعتها ، وحصلا على عنوان السيدة . ثم اتجها معًا فى سيارة القسيس إلى المدينة .

قبل أن تشرق شمس يوم عيد الميلاد ، كان الرجلان يطرقان مسكن السيدة ، والتقى الزوجان بعد كل هذه التعاسة والفراق والوحدة .

وكان كل منهما يعتقد أن الطرف الآخر لم يعد على قيد الحياة ، ويلوم كل منهما نفسه على الابتعاد عن الطرف الآخر .

وكان الزوج قد اعتقل بالفعل بعد رحيل زوجته ، ثم أفرج عنه بعد فترة . واستطاع الهرب عبر الجبال إلى سويسرا ، ومنها إلى القسم الجنوبى من فرنسا ، الذى لم يكن تحت الاحتلال النازى ، ولكنه كان خاضعًا لحكومة « فيشى » الموالية بعد أن وقعت وثيقة الاستسلام مع ألمانيا ، حيث لم تعترف بها المقاومة الفرنسية . واستطاع الهروب عبر جبال البرانيس إلى أسبانيا . ومنها فى رحلة بحرية خطرة إلى بريطانيا ، ثم الولايات المتحدة كلاجئ حرب .

كان ما حدث بالفعل شيء أشبه بالمعجزة ، فلولا العاصفة الشديدة التى أحدثت بعض التلفيات فى الكنيسة ، وأسقطت طلاء الجدار الخلفى للكنيسة ، لما حدثت كل هذه الأحداث المتسلسلة والمركبة . فلم تكن العاصفة لتهب عبثًا ، بل كان وراءها سببٌ خاصٌ جدًا من رحمة القدر ولطف السماء . ومع ذلك فقد يقول البعض إن شهر ديسمبر معروف بعواصفه العارمة وبرودته الشديدة فى نصف الكرة الشمالى ، وإن كل ما حدث مجرد مصادفات متلاحقة تزخر بها الحياة كل يوم . ومهما كان الأمر ، فقد التقى الزوجان ، فى نفس الولاية التى اختاراها للإقامة فى

أثناء لجوئهما ـ على انفراد ـ فى الولايات المتحدة خلال الحرب . ولكنهما استقرا فى أمريكا بعد انتهاء الحرب ، حين تبين لهما أن وطنهما النمسا ، أصبح تحت النفوذ السوفييتى ـ الروسى ـ ولم تنسحب القوات العسكرية منها إلا عام 1955 باتفاق دولى ، وظلا على اتصال دائم بالكنيسة وراعيها .



بتصرف مختصر عن المصدر :

Reader's Digest Magazine, An Article Titled « The Gold - And - Ivory Tablecloth » , by Howard Schade , Dated Dec . 1955 .
Pleasantville , N.y. 10570 . U.S.A.

رسالة من الزمن الضائع ..

[بقلم : نورمان كين]

يصعب على المرء أحيانًا أن يصدق أن مثل هذه الوقائع قد حدثت بالفعل من واقع الحياة ، إذ إن تصرفات الأقدار قد تعلو على كل الاحتمالات والتوقعات ، مثلما تتفوق الاكتشافات العلمية والاختراعات ، على كل الخيالات العلمية الجامحة .

حدث قبيل الحرب العالمية الثانية ، فى مدينة نيكاسترو Nicastro الصغيرة الجبلية فى جنوب إيطاليا . أن كانت الفتاة الجميلة لوتشيا جازولى Lutcia Gazzolli تعيش مع والديها - المتوسطى الحال - فى هدوء ، منذ أن انتقل والدها إلى المدينة منذ فترة قصيرة كموظف حكومى . كانت لوتشيا تعرف أنها جميلة ، ذات شعر أسود ناعم ، وعينان سوداوان ، ووجه جذاب وقوام رشيق . ولكن لم يتملكها الغرور ، وحصرت همها فى الدراسة وتحصيل العلم للحصول على شهادة عالية .

وكانت لاتعبأ بشبان المدينة الصغيرة ، ولاتقيم وزنًا لتصرفاتهم الحرقاء . ولكن كان يحلو لها أحيانًا - إرضاءً للأنثى فى داخلها - أن تعبث بهم . فتبتسم فى وجه أحدهم ، وتعبس فى وجه آخر ، وتدنى هذا وتبعد ذاك . وكان سلوكها يبعث اليأس فى نفوسهم ، ولكنه لم يثر كراهيتهم . فقد كانت بينهم زهرة جميلة محبية ، وكأن مجرد وجودها فى المدينة ، يبعث البهجه فى النفوس .

إلا أنها لاحظت أن جيوسيبى Giuseppe لا يعبأ بها على الإطلاق ، ويبدو وكأنه محصن ضد سلطان جمالها ، وودت لو استطاعت أن تضمه إلى قائمة المعجبين عن بعد .

كان جيوسيبى شابًا متوسط الطول ، يبدو عليه أنه غير عاطفى بالمرة ، برغم وجهه الجذاب . وكان محط أنظار المدينة والقرى المجاورة فى المنطقة ، حيث إنه يمتلك محلاً متميزًا للخياطة والتفصيل وبيع لوازمها ، وكان يبدو عليه أنه فى حالة ميسورة نسبيًا . وقد اكتسب شهرته فى المنطقة بتفانيه فى عمله ، ودقة مواعيده ، وعدم مغالاته ، ومتابعته للجديد ، فضلاً عن دماثة أخلاقه وحسن معاملته . وكان أهل المدينة والمنطقة يفخرون

به ويقولون : إن خياطى مدينة نابولى أنفسهم ـ نحو الشمال ـ ليسوا أفضل منه .

وكان يومًا من أيام الربيع الجميلة ، حينما ذهبت لوتشيا إلى متجر جيوسيبى ، لشراء بعض المستلزمات . وبعد أن أخذت ما تريد تباطأت فى الخروج ، وقالت فى حياء : « ما الذى يحملك على البقاء فى هذه المدينة الصغيرة ؟ إن الجميع يقولون إنك ماهر جدًا ، وتستطيع أن تكوّن ثروة لو ذهبت إلى نابولى » فأجابها جيوسيبى : « .. لدىّ ما يكفينى ، أيتها السنيورة ! » . فقالت فى نبرة اللوم : « إنك لست طموحًا » . فقال : « من الغباء أن يطمح المرء إلى شىء لايحتاج إليه ، أو يريد شيئًا تعجز إمكانياته عن الوصول إليه » . ساد الصمت لحظة ، ثم سألته فى مرح : « هل تحب أن تصحبنى إلى ملاهى السوق ؟ » . فأجابها فى رزانة : « يسرنى هذا ياسنيورة » . وكان من المقرر أن تقام السوق السنوية فى ميدان المدينة الواسع ، حيث يصاحبها دائمًا الملاهى التى تجذب المشاهدين .

فى اليوم المحدد ، اصطحبها جيوسيبى إلى السوق وملاهيه ، وجوّلا بين المعروضات الحديثة والمنتجات الجديدة . وتناولا بعض الشطائر والحلوى ، وتركها تلهو

مع الخيول الخشبية الدوارة ، لأنه أكبر من أن يجاريها فى مثل هذا العبث ، وانتظرها خارج الحلقة ، وسط الجماهير .

التقت لوتشيا بالشاب روبرتو بيللينى Roberto Bellini الذى كان يركب حصانًا مجاورًا . وضحك عندما انتابها الخوف ، وأخذ يسندها بذراعيه . وكانت لوتشيا تسمع عنه ولا تعرفه من قبل . لم يكن مقيمًا فى المدينة ، إذ إنه يعمل فى تجارة النبيذ الفرنسى والإيطالى ، ودائم التنقل فى كل دول أوروبا . ولقد جاء لزيارة أهله ، بمناسبة السوق السنوية . ثم اصطحبها جيوسيبى إلى أماكن أخرى فى الملاهى والسوق ، وأعادها قرب الغروب إلى منزلها .

فى اليوم التالى مباشرة قام روبرتو بزيارة إلى لوتشيا والتعرف إلى أسرتها وقد حمل معه الكثير من الهدايا . وأدركت الأسرة ما وراء زيارة روبرتو ، فلا يمكن أن يقوم شاب بزيارة شبه رسمية كهذه من غير هدف جدى . وشعرت لوتشيا بالسعادة ، فقد لاح لها أخيرًا أن تجد مهربًا من عالمها الرتيب الضيق .

عاد روبرتو بعد أسابيع ، طالبًا الزواج من لوتشيا ، كى يصحبها معه إلى الولايات المتحدة ، كوكيل لبعض مزارع الكروم ومنتجى النبيذ فى إيطاليا وفرنسا . ورحب الوالدان بهذه الفرصة السعيدة ، خاصة وأن ابنتهما سوف تعيش فى بلاد متقدمة ، بدلاً من هذه المدينة الجبلية المنغلقة .

انتشرت أنباء خطبة لوتشيا بسرعة ، وعندما علم جيوسيبى بذلك ، ذهب إلى منزل لوتشيا . وطلب من والديها أن يسمحا له بصنع فستان زفاف لوتشيا ، هدية منه . فشكره الوالدان على رقة شعوره وجميل صنعه .

توجه جيوسيبى خصيصًا لشراء قماش الثوب من الحرير الأبيض الغالى الثمن . وذهبت لوتشيا إلى المتجر لقياس الثوب وضبطه عدة مرات . ولما انتهى صنع الثوب ارتدته لوتشيا ، ونظرت إلى نفسها فى المرآة ، وكانت أجمل مما تحلم به . وجاء يوم العرس بسرعة ، ولكن جيوسيبى لم يحضر الحفل ، وقيل إنه ذهب إلى مدينة أخرى لزيارة أحد أقاربه المرضى . ولم تجد لوتشيا ـ وسط فرحتها ـ وقتًا كى تفكر فيه . وفى اليوم التالى رحل العروسان إلى الولايات المتحدة .

عاش الزوجان فى منزل جميل فى ضاحيه من ضواحى نيويورك ، وكان روبرتو زوجًا صالحًا ، ورجل أعمال ناجحًا . وكانت لوتشيا تكتب إلى والديها بانتظام خلال السنوات الأولى ، حيث رزقت بابنتين جميلتين ، كانتا قرة أعين والديهما . ومع اندلاع الحرب العالمية الثانية ، أخذت الرسائل تقل شيئًا فشيئًا ، ثم انقطعت تمامًا عند اشتراك الولايات المتحدة فى الحرب فى ديسمبر 1941 .

خلال تلك الفترة ساءت أمور روبرتو لظروف الحرب ، ووجد نفسه عاجزًا عن دفع مرتبات موظفى مكتبه ، ثم اضطر إلى إغلاقه بعد مرض قصير ، ووجد عملاً آخر . ولكنه كان قد فقد ثقته بنفسه ، واستسلم لليأس ، وانهارت صحته ، وفى أحد الأيام توفى فجاة .

لم تجد لوتشيا صديقًا تلجأ إليه ، إذ كان لكل شخص متاعبه ، وكان والداها قد توفيا منذ فترة ، عند قصف المدينة الصغيرة خلال الحرب . وكانت ابنتاها فى سن لا تسمح لهما بالعمل ، فالكبرى باتريشيا Patricia فى العاشرة ، والصغرى ليونيلا Leonella فى السابعة من العمر . واضطرت إلى بيع منزلهم ، واستأجرت غرفة

فى أحد الأحياء ، وعاشت على تدريس اللغة الإيطالية فى إحدى مدارس نيويورك ، وكذلك تدريس اللغة الإنجليزية للمهاجرين الإيطالين .

كثيرًا ما كانت لوتشيا تفكر فى الليالى المظلمة ، فى مصير ابنتيها لو أصيبت بمرض ، أو حدث لها مكروه . وكانت هناك دائمًا بعض المشكلات الصغيره ، التى كانت تجد لها حلاً . فقد طلبت ليونيلا فستانا جديدًا يليق بحفل مدرستها وكذلك باتريشيا ، أختها الكبرى . وتذكرت لوتشيا ثوب العرس ، كان لايزال يحتفظ بجماله ورونقه ، وتذكرت جيوسيبى الذى أهداها إياه يوم زفافها . وأدهشها أن يكون لديها شىء جميل مثل هذا الثوب وتنساه .

بدأت فى الحال تفك ثنيات الثوب وأجزاءه وتقيسه على ابنتها الصغرى . ولكنها فوجئت بوجود ورقه مطوية بعناية فى إحدى الثنيات . وفى دهشة ، بسطت الورقة ، فاذا بها رسالة قصيره ، كادت حروفها أن تزول بعد مضى مايقرب من خمس عشرة سنة : « سأحبك دائما . لاتترددى فى الاتصال لو احتجت شيئًا ! » .

أخذت لوتشيا تقرأ الرسالة مرات ، وتراءى لها جيوسيبى الأسمر بشخصيته المتزنة . وغص حلقها من التأثر وامتلأت عيناها بالدموع ، وأكبرت حبه العظيم الذى أخفاه عنها . وغلب عليها الحزن والشعور بالوحدة ، فأخذت تبكى بكاءً حارًا ، وابنتاها تشاركانها ، ولاتعرفان سببًا لذلك .

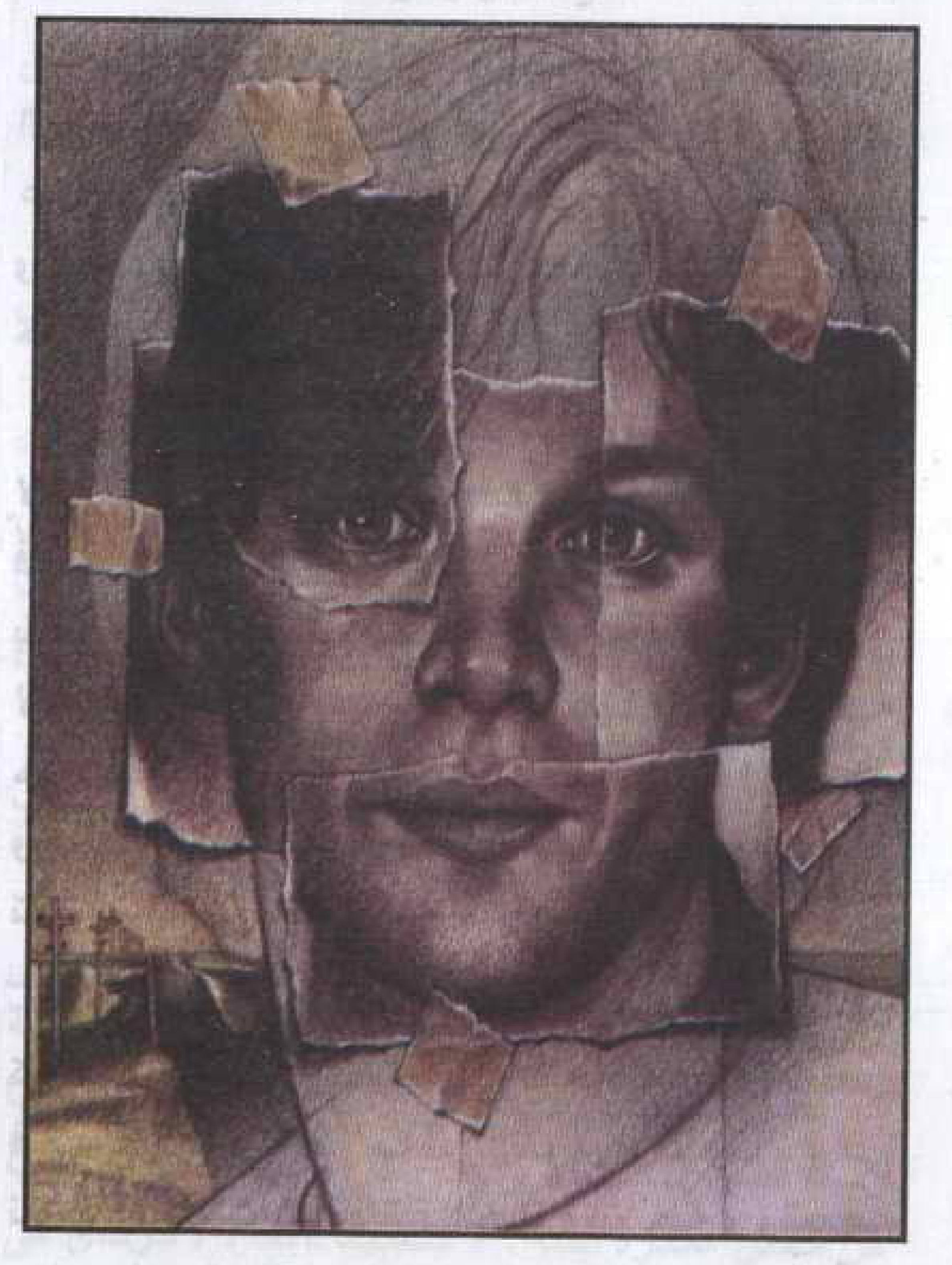
بعد أيام من التردد ، كتبت لوتشيا رسالة إلى رجل ، لاتعرف إن كان مازال على قيد الحياة . وإذا كان حيًا فلا تعرف ، إن كان لايزال يذكرها . ولكنها كانت تشعر بدافع قوى يدفعها إلى الكتابه . شكرته على حبه الذى لاتستحقه ، وعلى هديته التى لم ترعها واضطرت لفكه حين عثرت على الرسالة . وأبلغته بموت زوجها ، وبعملها فى التدريس ، وبابنتيها الجميلتين . ولكنها لم تشر قط إلى ماتعانيه .

مرت أسابيع ، ولم يكن هناك رد ، ولم يكن لديها أمل كبير - فى الواقع - أن تتسلم ردًا . فالحياة تطحن كل شخص فى دواماتها ، وتغير ما فى النفوس والقلوب . وهى نفسها قد أهملت الرجل الذى أحبها وكتم حبه ، وانساقت وراء مباهج الحياة ، حتى تخلى عنها الحظ ، وجاءت الأيام

العجاف . ولكنها كانت فى قراره نفسها تأمل فى التحسن مع الأيام ، فليس هناك بعد الغروب إلا الشروق .

ارتدت ليونيلا الصغيرة . فستانها الجميل فى حفل مدرستها ، وكانت أسعد فتاة . وراقبتها أمها وهى تتنقل بين زميلاتها فى رشاقة ، وشكرت من قلبها جيوسيبى . ولكنها اضطرت لشراء فستان جديد لابنتها باتريشيا الكبرى من دخلها القليل ، فلم يكن الفستان ليصلح للابنتين معًا .

عادت لوتشيا إلى منزلها قرب الغروب يومًا . ووجدت فى مدخل البناية رجلاً فى انتظارها . لم تعرفه من الوهلة الأولى ، فالأكتاف ازدادت عرضًا ، والشعر الأسود زاحمته بعض الشعيرات البيضاء ، وسمعته يقول : « أهذا هو أنت يالوتشيا ؟ إن الأيام زادتك جمالاً ورقة ! » . لم يشر على الإطلاق إلى رقة حالها التى لمسها ، أو إلى مسكنها المتواضع ، وحافظ على كبريائها وماء وجهها . فقد كان هو نفسه فقيرًا ، وبنى نفسه بنفسه ، والفقر والغنى حالة يتناوب عليها المرء خلال حياته . لقد جاء جيوسيبى ، فى وقت اشتدت فيه حاجة لوتشيا إليه .



تذكرت لوتشيا وجه جيوسيبى وهى تقرأ رسالته ، وأكبرت حبه العظيم .



تزوجت لوتشيا فى حفل كبير فى نيويورك ، وذهبت أيامها الصعبة .

ليس هناك حبٌ حقيقىٌ أمكنـه يومًا أن ينتهـى ، حتـى مـع الفراق الطويل ، والابتعاد المنقطع . لقد كـان حب جيوسيبى كبيرًا وعظيمًا وراسـخًا حقيقيًّا ، دون كلمـات مكـررة أو إعلان بـالنيون . وقـرر جيوسيبى فـى لحظـة اللقـاء الأول أن يتزوجهـا ، وأن يرعـى بنتيهـا ، وبكت لوتشـيا كثيرًا ، وهى تعتذر له عن غرورها ، وعدم اهتمامها من قبل بأمره . ويقول جيوسيبى « إن الحب الصادق يأخذ ما لديك ، ثم يرده إليك مـرة أخـرى أجمل وأرق مما كان عليه مـن قبل » . كان لدى جيوسيبى المال الوفير ، وأمكنه خلال الأشهر التالية من أن ينهى أوراق هجرته إلى الولايات المتحـدة . وأعد فيلاً جميلة كمنزل لزوجتـه لوتشـيا وابنتيهـا ، وافتتـح مؤسسـة للخياطـة الراقيـة فـى أهم شوارع نيويورك . ثـم تـزوج مـن لوتشيا فـى حفـل كبير فـى إحـدى ضواحـى نيويورك ، حيث تعيش الأسرة حتى الآن .

بتصرف مختصر عن المصدر :

Family Weekly Magazine , An Article by Norman Kaine , Dated Oct . 1956 .

641 Lexington Avenue , New york , N.y. 10022 , U.S.A.

تمسكت بصفائها مدى الحياة ..

[بقلم : بيتر كورتس]

كان آل تيلور يقيمون فى منزل ريفى خشبى بالقرب من مدينة والتهام Waltham بولاية ماساتشوستس Massachusetts الأمريكية . وكانت إيدث تيلور Edith Taylor تعتبر نفسها أسعد سيدة فى المنطقة ، فقد تزوجت كارل Karl منذ ما يقرب من 23 سنة لم ينجبا خلالها . ولكن قلبها ما زال يخفق كلما دخل زوجها الغرفة ، أو حادثها تليفونيًّا . كما كان كارل زوجًا مثاليًّا ، وتبدو عليه كل مظاهر الرجل الذى يحب زوجته ويحترمها ويهتم بأمرها .

كان كارل تيلور موظفًا مدنيًّا متخصصًا فى شئون المخازن فى الجيش الأمريكى . وكان عمله يقتضيه أحيانًا الابتعاد عن المدينة وعن مسكنه ، ولكنه كان يواظب على الكتابة إلى زوجته ، ويبعث إليها ببعض الهدايا الصغيرة ، من كل مكان يزوره ، داخل أمريكا أو خارجها .

فى فبراير 1950 ، أرسل كارل فى مهمة إلى القاعدة الأمريكية فى جزيرة أوكيناوا Okinaawa فى جنوب اليابان ،



عاشت إديث سنوات طويلة مع زوجها كارل فى سعادة فى منزلهما الريفى الخشبى .

تستغرق عدة أشهر . وكانت تلك هى أطول فترة فى المهام الخارجية ، يقضيها بعيدًا عن زوجته المحبوبة .

كان كارل يوالى كتابة الرسائل ، ولكنها أصبحت متباعدة مع الوقت . لم يرسل الهدايا الصغيرة التى تعود على إرسالها دائمًا ، ولكن زوجته إديث اعتقدت أن السبب لا بد يكمن فى أن كارل يدخر المال ، كى يشترى المنزل الذى يحلمان به فى المدينة منذ مدة طويلة .

مرت الأشهر الطويلة الموحشة ببطء ، استطاعت إديث خلالها أن تتغلب على وحدتها بالعمل فى حديقة المنزل ، وترتيب الأشياء والقراءة وسماع الموسيقى . ولكن كلما اقترب موعد عودة زوجها ، كتب إليها أنه مضطر للبقاء أسابيع أخرى ، إذ إنه كلف بمهمة جديدة فى نفس القاعدة ، أو مجرد شهرين آخرين ، وهكذا حتى مر على سفره فى هذه المهمة التى لاتنتهي حوالى العام . ثم أخذت رسائله تتلاشى وتتباعد شيئًا فشيئا . لم تفهم إديث سبب ذلك ، فهى لن تكلفه شيئًا ، لأنها بالبريد الحربى الأمريكى . أما الهدايا الصغيرة ، فقد كان عدم إرسالها ضروريًا لادخار المال .

بعد أسابيع من الصمت ، تلقت إديث رسالة من زوجها

كارل ، ففتحتها بلهفة ، كى تتلقى صدمة العمر . كانت الرسالة قصيرة جدًا : « عزيزتى إديث . وددت لو كانت هناك طريقة أكثر رقة لإبلاغك هذا النبأ .. إننا لم نعد زوجين ! » . تملك الذهول الزوجة المهجورة ، وجلست تفكر فيما يحدث ، وأطاح بسعادتها واستقرارها واطمئنانها لما تحمله الأيام .

وكيف يمكنها أن تواجه الحياة وحيدة ، فى هذا المنزل المنعزل عن المدينة ؟ وكيف تستطيع أن تكافح كى تبقى على قيد الحياة ، وقد بلغت من العمر 48 عامًا .

خلال أيام وصلتها رسالة كبيرة ، موصى عليها تتضمن حكمًا بالطلاق ، مع رسالة قصيرة من كارل توضح الأمر . وكان قد كتب إلى إحدى المحاكم فى المكسيك ، وعن طريق محامين مختصين فى العلاقات الزوجية ، حصل على حكم بالطلاق وبالبريد . وأنه قد تزوج الآن من الفتاة اليابانية إيدا Ida ، التى كانت تدير البيت الذى يقيم فيه .

لم تشعر إديث بكراهية لزوجها ، ولم تشعر بالغيرة من زوجته الجديدة ، التى تصغرها بأكثر من نصف عمرها . ولم تكتب إلى رئاسته انتقامًا لحياتها المحطمة . بل ولم تكافح من الناحية القانونية لإلغاء هذا الطلاق ، الذى تم

على الورق دون سبب . وربما كانت أحبت كارل ، إلى الحد الذى لم تعد قادرة على التوقف عن هذا الحب . ولكنها لم تتفهم السبب الذى أوصل كارل إلى هذا الحد من القطيعة . والأسلوب « الغادر » الذى تم به الفراق دون مقدمات . والإهمال المتعمد لمصيرها واستقرارها وأمنها وحياتها كلها . وكيف أمكنه أن يتناسى السنوات الطوال معًا ، وكفاحهما وأحلامهما معًا . ثم كيف يتركها هكذا دون أن يكون لها دخل شهرى أو سنوى ، يغطى تكاليف الحياة اليومية .

وبرغم كبريائها المجروح ، وكرامتها النازفة ، وأنوثتها المهدرة ، أخذت تتلمس الأعذار لكارل . فماذا يمكن أن يحدث لرجل وحيد ، فى مكان بعيد ، على اتصال دائم بفتاة صغيرة ؟! ثم إنه كان أمينًا مع نفسه ومع زوجته ، فاختار الطلاق ، بدلاً من أن يستغل خادمة صغيرة . ولكن الأمر الذى لم يكن لتستطيع أن تصدقه أو تغفره لكارل ، هو كيف أمكنه أن يتوقف عن حبه لها ؟ تمامًا مثلما هى تحبه .

تمسكت إديث بصفاء سريرتها ، وصدق عواطفها ، ولم تسمح لما حدث بأن يقوض حياتها ، أو أن يغير من نظرتها للحياة ، ويبدل من قيمها وثقتها بالله . وكان لها بعض المدخرات القليلة ، فأخذت تدبر أمورها بحذر ، ولم تكن قد تعودت على إحصاء « القروش » القليلة . ثم تقدم عمّ لها فى إحدى الولايات لمساعدتها ، وجمعت عائلتها فيما بينها مبلغًا ، يكفى كى تنفق من أرباحه أو فوائده على احتياجاتها الخاصة . وأحاطها أفراد العائلة فى كل مكان برعايتهم واهتمامهم برغم مشاغلهم الكثيرة ، وتباعد مواقعهم فى الولايات المختلفة . ولكنها رفضت ترك منزلها والإقامة مع أحدهم ، إذ كان لديها شعور بأن كارل سوف يعود يومًا إليها ، وراحت تبنى حياتها حول هذه الفكرة . ثم حصلت على عمل صغير .

بعد فترة كتبت لكارل تطلب منه أن يسمح لها بأن تكون على صلة بحياته الجديدة ، فإن كانا قد افترقا كزوجين ، فمازالا صديقين . وبعد مدة رد عليها برسالة تخلو من حرارة الرسائل السابقة . أشهر أخرى وتسلمت رسالة يقول فيها إنهما ينتظران طفلاً ، وهكذا ولدت الطفلة آمى

Amy عام 1951 ، ثم الطفلة ماى Mae عام 1953 . أرسلت إديث بعض الهدايا للطفلتين ، وظلت تكتب الرسائل لكارل ، وهو يرد عليها بأخبار الطفلتين الصغيرتين ، وهكذا أصبحت الرسائل أكثر حميمية ، وتمتلئ بالمعنى والحياة .

إلى أن جاءت الرسالة الرهيبة ، إن كارل مصاب بسرطان الرئه ، ولم يعد لديه إلا القليل فى هذا العالم . كانت رسائله الأخيرة تنضح بالقلق والخوف على مصير زوجته إيدا والطفلتين . وقد كان يود إرسالهما للدراسة فى الولايات المتحدة مستقبلاً .

أدركت إديث أن هديتها الأخيرة لكارل ، قد تكون راحة البال . وكتبت إليه مخلصة تقول : إنها مستعدة لاستضافة الطفلتين لتربيتهما فى والتهام ، إذا وافقت أمهما على ذلك .

بعد وفاة كارل ، ظلت إيدا لعدة شهور ترفض السماح للطفلتين بالذهاب إلى الولايات المتحدة ، فهما كل حياتها . ولكن من ناحية أخرى كيف يمكنها الإنفاق عليهما فى المدارس اليابانية الباهظه التكاليف ، وتوفير حياة كريمة لهما ، كما تعودا منذ صغرهما ؟

فى نوفمبر 1956 أرسلت إيدا بالطفلتين إلى العمة إديث . وكان من العسير عليها ـ وقد بلغت الرابعة والخمسين ـ أن تصبح أمًّا لطفلتين صغيرتين فى الثالثة والخامسة من عمريهما . فضلاً على أن الطفلتين قد نسيتا ماكانتا تعرفانه من اللغة الإنجليزية فى الفترة التى تلت وفاة أبيهما . ومع ذلك تعلمت آمى وماى بسرعةً ، وتلاشى الخوف من عيونهما ، واستعادتا صحتهما ، وامتلأت نفساهما بالثقة والألفة . وأصبحت إديث لأول مرة منذ سنوات تسرع للعودة من عملها إلى البيت . ووجدت متعة فى إعداد الطعام للطفلتين ، بل لقد استردت هى نفسها وزنها المفقود وثقتها الضائعة وحبها المهجور . ثم تركت العمل بسرعة للتفرغ تمامًا لرعاية الطفلتين وتربيتهما .

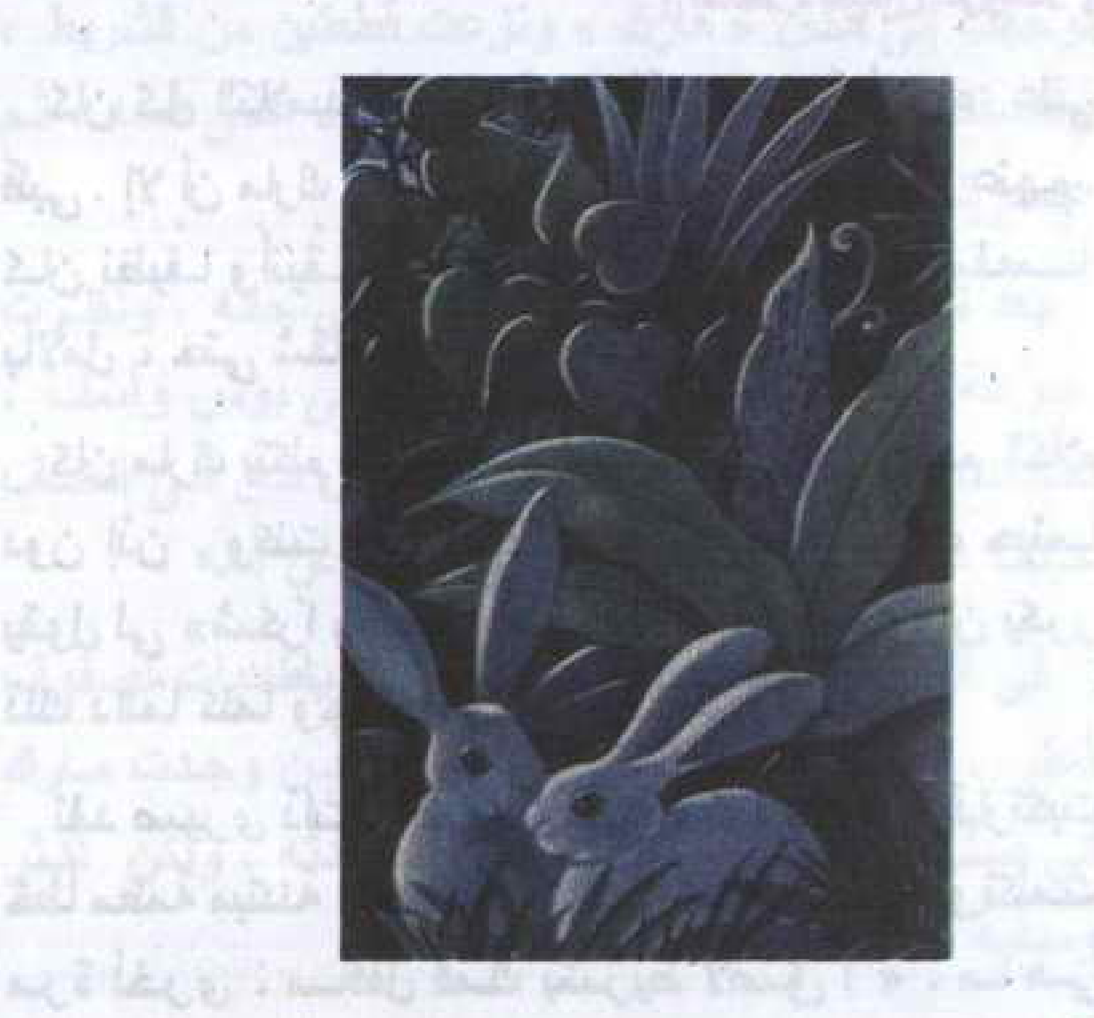
كانت رسائل إيدا تزداد حزنًا مع الأيام . وكانت الأم تسأل العمة العزيزة إديث ، أسئله كثيرة من نوع : « ماذا تفعلان الآن ؟ هل تبكى ماى ؟ هل تتقدم آمى فى دراستها ؟ » . وكانت إيدا تكتب رسائلها بإنجليزية بسيطة ، ولكنها كانت تحمل أنين العزلة والوحدة ، ولقد عرفت هى معنى الوحدة . وأدركت أنها يجب أن تعمل على إحضار أم الطفلتين أيضًا للعيش معها .

كانت إيدا من رعايا اليابان ، وحصة الهجرة لرعايا اليابان إلى الولايات المتحدة مستنفدة لسنوات قادمة . وكتبت إديث إلى إحدى الصحف الأمريكية ، فنشرت القصة بكامل تفاصيلها مع الصور اللازمة وانهالت على المسئولين العديد من الالتماسات ، للتجاوز عن قيود الهجرة فى هذه الحالة لأسباب إنسانية . وفى أغسطس 1957 سُمح للأم إيدا بدخول الولايات المتحدة كمهاجرة .

فى مطار نيويورك الدولى ـ مطار كنيدى ـ وقفت إديث مع الفتاتين لانتظار الأم إيدا . وكانت آخر من غادر الطائرة . كانت نحيلة وصغيرة وقد ظنتها إديث أول الأمر مجرد طفلة ، وكانت هناك ممسكة بالحاجز ، فأدركت إديث أنها تشعر ببعض الخوف ، والحقيقة أنها كانت فى حالة تقترب من الرعب . ونادتها العمة إديث باسمها ، فأسرعت بهبوط الدرجات . وكان لقاءً مؤثرًا حقًا أثار الموجودين بالمطار ، وكانوا قد قرءوا عن الموضوع .

لقد ابتهلت إديث إلى اللّه أن يعيد إليها كارل ، وها هو قد عاد فى صورة ابنتيه الصغيرتين ، والفتاة الرقيقة التى أحبها وتزوجها . واليوم تعيش الأسرة السعيدة مع العمة

إديث العزيزة فى منزل جديد بمدينة والتهام ، وتواصل الابنتان تقدمهما فى دراستهما . لقد أخذ اللّه حياة واحدة أحبتها إديث ، ومنحها ثلاثة أشخاص تحبهم ويحبونها .



بتصرف عن المصدر :

New york Times Magazine , by Peter Curtis , Dated Feb 1963 .

229 West at 43 Stheet , New york , n.y. 10036 , U.S.A.

قائمة الصفات النبيلة..

[بقلم : هيلينْ مروسلا]

كان كل التلاميذ فى السنة الثالثة الابتدائية أعزاء على قلبى . إلا أن مارك إيكلاند Mark Eckland كان مميزًا عنهم . كان نظيفًا وأنيقًا ومرتبًا ، وله نظرة مشرقة مفعمة بالأمل ، حتى شقاوته النادرة كانت محببة للقلب .

كان مارك يتكلم باستمرار ، فأضطر إلى تذكيره بعدم الكلام دون إذن . وكنت أقف حائرة لا أستطيع الإجابة ، حينما يقول لى «شكرًا يا آنستى على هذا التأنيب » . وكان يكرر ذلك دائمًا كلما وجهته إلى تصرف سيئ فعله .

نفد صبرى ذات صباح من كثرة ثرثرة مارك ، فارتكبت خطأ معمة مبتدئة ، حيث نظرت إليه مهددة : « .. لو تكلمت مرة أخرى ، سأقفل فمك بشريط لاصق ! » . ما هى إلا دقائق حتى صاح تشارلى Charly : « .. لقد تكلم مارك ثانية » . ولم أكن قد طلبت من التلاميذ أن يساعدونى على مراقبة مارك ، ولكننى اضطررت لتنفيذ العقاب الذى أعلنته ـ بطريق الخطأ ـ أمام الجميع .

ما زلت أذكر مشهد ما حدث فى ذلك اليوم ، حيث اتجهت إلى مكتبى ، وفتحت أحد الأدراج بتأن بالغ . ثم تناولت لفة من شريط لاصق . ودون أن أقول شيئًا ، توجهت إلى مكان « مارك » ونزعت قطعتين من الشريط ، وألصقتهما على شكل حرف « إكس » على فمه ، ثم عدت إلى مكتبى .

بعد ثوان قليلة ، أردت أن أطمئن على حاله ، ونظرت بسرعة إلى مارك الذى أغمض عينيه فى بؤس وأسف . ضحكت كثيرًا على حركته ، وهتف كل من فى الصف حينما عدت إلى مارك ونزعت الشريط عن فمه .

فى السنة التالية ، قمت بتدريس الرياضيات لصفوف أعلى . ومرت ست سنوات أخرى ، حين وجدت مارك فى صفى مجددًا . كان مهذبا وشقيًّا كعادته ، ولكن أكثر وسامة .

فى أحد الأيام لم تكن الأمور على ما يرام ، فقد عملنا بجد طوال أسبوع فى تناول نظرية رياضية جديدة صعبة نوعًا . وشعرت أن التلاميذ مرهقون ومحبطون ، ولايريدون متابعة تلك النظرية الغريبة عليهم . لذلك كانوا متذمرين

بعضهم من البعض ، قلقين فى تصرفاتهم . ولما كنت أشعر أيضًا بالإرهاق والخمود ، وحتى لاينفلت زمام الأمور من يدى ، فقد طلبت من التلاميذ وضع ورقة بيضاء أمامهم . وأن يقوم كل منهم بكتابة اسمه على الورقة فى أعلاها . ثم يقسم الورقة إلى قسمين من أعلاها لأسفلها . ثم يكتب أسماء جميع رفاقه فى الفصل . ثم يفكر كل منهم بعد ذلك فى أجمل الصفات التى يتميز بها كل زميل له ، فيدونها أمام اسمه .

استغرق هذا الأمر ، باقى الوقت المحدد للحصة ، وعند مغادرة كل منهم الغرفة ، عليه أن يترك ورقته على مكتبى . فى عطلة نهاية الأسبوع ، أخذت تلك الأوراق ، وسجلت اسم كل تلميذ فى ورقة منفصلة ، ثم دونت كل ما كتبه رفاقه عنه . وفى بداية الأسبوع التالى ، أعطيت كل تلميذ قائمته ، ورأى زملائه فيه . ولم ألبث أن رأيت كل من فى الصف يبتسم فى بهجة ، وسمعت الكثير من الشهقات والتعليقات : « هل هذا صحيح ؟ ـ إنه شخص آخر ولست أنا ! ـ لم أعرف أن هذا يعنى شيئًا لأحد ـ لم أدرك أن الآخرين يكنون لى كل هذا الحب .. الخ » .

لم يذكر أحد من التلاميذ هذه القوائم مرة أخرى . ولا أعرف إن كانوا قد تحدثوا بشأنها معًا ، أومع ذويهم . ولكن الأمر لم يعد يهم على الإطلاق ، فالتمرين الشخصى حقق أغراضه ، وعاد التلاميذ راضين عن أنفسهم وعن زملائهم . وساد التفهم والتسامح والألفة جو الفصل .

مضت سنوات طويلة ، وكنت فى إجازه ، حينما عدت إلى منزلى ، حيث لقينى والداى فى المطار . وفى الطريق أخذت والدتى تسألنى عن الرحلة وعما رأيته وفعلته . ثم قال أبى : « لقد اتصل آل إيكلاند أمس » . فقلت بشغف : «حقًا ؟ لم أسمع عنهم منذ سنوات . كيف حال مارك ؟» . فرد أبى بهدوء : « لقد قتل مارك فى حرب فيتنام . وحفل تأبينه غدًا ، ويتمنى والداه أن تتمكنى من الحضور » .

كان مارك قد تخرج فى أكاديمية ويست بوينت العسكرية كضابط فى الجيش الأمريكى . ونظرًا للبطولات التى أبداها فى الميدان ، والشجاعة الفائقة التى تعدت القيام بالواجب ، فقد منح وسام الخدمة الممتازة . ودفن جثمانه فى احتفال رسمى بمقبرة أرلينجتون Arlington القومية فى واشنطون . وكان من المقرر إقامة حفل



مقبرة أرلينجتون القومية الأمريكية فى واشنطون ، حيث دفن جثمان مارك كبطل فى حرب فيتنام .

تأبين لاسمه فى المدينة التى ولد وعاش بها ، وهى شامبرزبورج ChamberSburg بولاية بنسيلفانيا Pensylvania .

فى اليوم التالى ازدحمت قاعة المدينة بأصدقاء مارك ورفاقه فى السلاح ، فضلاً عن عمدة المدينة ومدير الشرطة وكبار الموظفين وأعيان المدينة ، للاحتفال بذكرى ابنهم البار . وكنت فى القاعة ، أفكر فى مارك وابتسامته ونظرته وشقاوته . وكنت مستعدة للتضحية بكل الشرائط اللاصقة فى العالم فى مقابل كلمة أسمعها بصوت مارك .

انتهى الاحتفال الحزين ، وأخذت طريقى إلى الخارج ، حين تقدم منى أحد زملائه الضباط وسألنى : « هل علمت مارك مادة الرياضيات ؟ » ، فأومأت برأسى ، وأنا أنظر إلى الأفق فوق الأشجار . فواصل كلامه قائلاً : « .. لقد كان مارك يتحدث عنك كثيرًا ! » . ولم أدهش من ذلك ، فقد كان مارك دائم الثرثرة ، ولكن عن أى موضوع كان يتحدث فيه عنى .

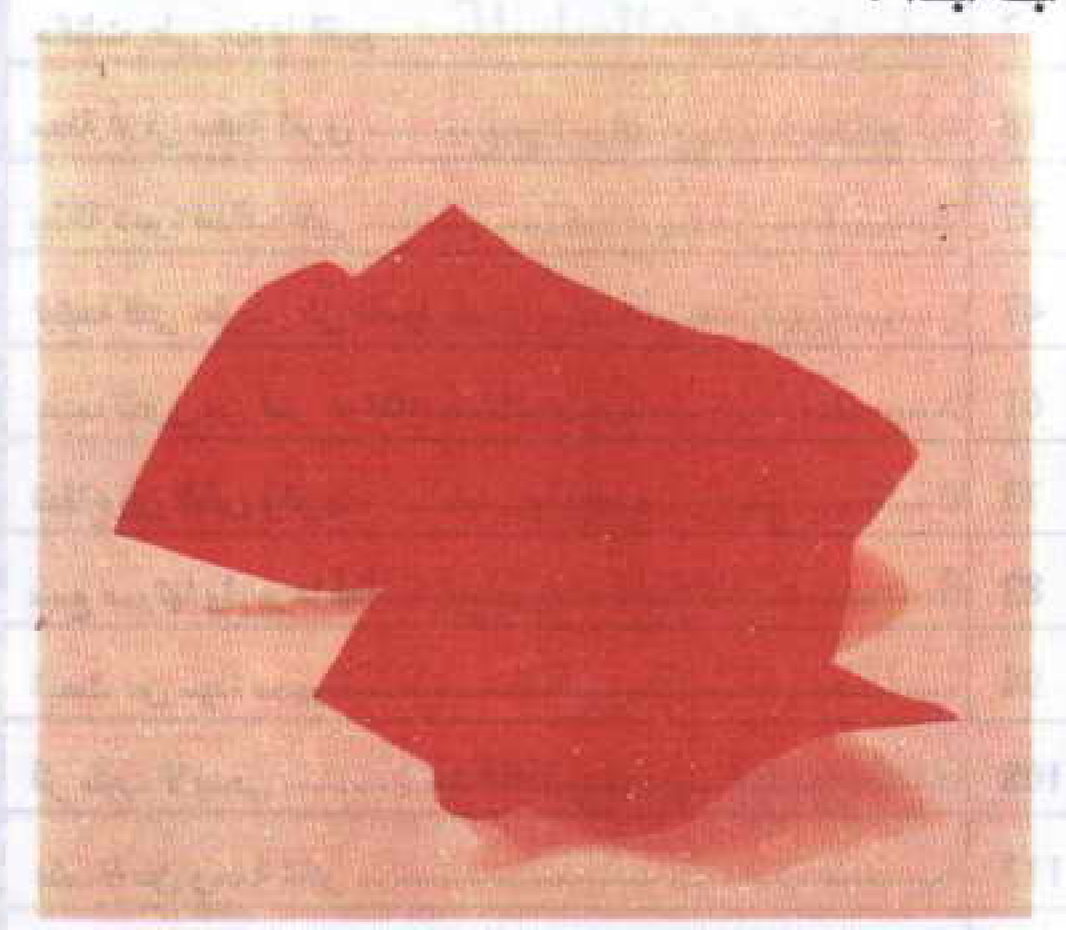
توجه رفاق مارك فى الدراسة ، وكذلك زملاؤه فى السلاح ، والذين حضروا خصيصًا إلى بلدته ، إلى منزل تشارلى لتناول الغذاء . وكان والدا مارك هناك ، عندما أخرج محفظته من جيبه وقال : « .. أود أن أريك شيئًا . لقد وجدوا هذه مع مارك عندما قتل . وقد سلموها إلى ضمن أمتعته الشخصية » .

فتح المحفظة ، وأخرج بعناية ورقة بالية نُزعت من دفتر ، وألصق نصفاها بشريط لاصق . وبدا واضحًا أنها طويت وفتحت كثيرًا . وأدركت فى الحال ، أنها الورقة التى تحمل خطى ، والتى دونت عليها كل الصفات الجميلة ، التى كتبها زملاء مارك فيه . وقالت والدته : «شكرًا لك على كل ما فعلتيه . لقد كانت تلك الورقة غالية جدًا على قلب مارك ، كما ترين » .

انضم إلينا بعض أصدقاء مارك . وابتسم تشارلى فى خجل وقال : «مازلت أحتفظ بقائمتى حتى الآن . إنها فى درج مكتبى » . وأضافت زوجته : « لقد طلب منى تشارلى أن أضعها فى مجلد صور زواجنا » وقالت مارلين Marline : « أنا أيضًا أحتفظ بقائمتى ضمن أشيائى الخاصة » .

وتناولت فيكى Vicky حقيبة يدها ، وأخرجت قائمتها : « إننى أحملها معى طول الوقت . وأعتقد أننا جميعًا احتفظنا بها » .

عندئذ جلست على أقرب مقعد ، وبكيت كما لم أبك أبدًا .



بتصرف مختصر عن المصدر :

Proteus Magazine , by Helen Mrosla , Dated March 1991 .

Shippensburg , Pensylvania , U.S.A .





حدث بالفعل

وقائع حقيقية وأحداث غريبة ليس لها أى تفسير على الاطلاق

صدر من هذه السلسلة :

1 - مفاجآت فى أعلى الجو .

2 - صراع من أجل البقاء .

3 - مطاردات فى أعالى البحار .

4 - رسائل من ... العالم الآخر .

5 - الضياع بين أمواج المحيط .

6 - عمليات الإنقاذ المستحيلة .

7 - التصرفات الغريبة للحيوانات .

8 - الرحيل إلى الزمن المفقود .



وقائع حقيقية

واحداث غريبة

ليس لها اى تفسير على الاطلا







